

فضل اليقين



الشيخ ندا أبو أحمد







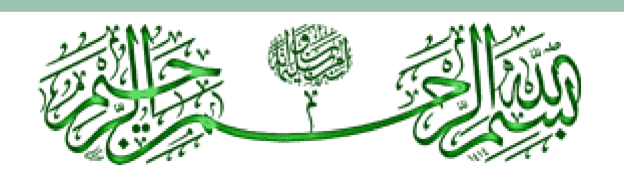


الشيخ/ ندا أبو أحمد









فضل اليقين

تمهيد

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهد اللهُ فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدهُ ورسولُه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء:١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب:٧١،٧٠)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله ـ تعالى ـ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.



نبض الرسالة

فضل اليقين

١- اليقين من أفضل الأعمال.

٢- لا ينتفع بآيات الله وبراهينه إلا الموقنون.

٣- اليقين هو الإيمان كله.

٤- بالصبر واليقين تحصل الإمامة في الدين.

٥- أهل اليقين يعطيهم الله الأجر العظيم، وينجيهم من نار الجحيم.

٦- اليقين الدواء الشافي للشك والريب.

٧- اليقين روح أعمال القلوب.

٨- باليقين تغفر الذنوب.

٩- اليقين يهون على الإنسان مصائب الدنيا.

١٠- الروح والفرج في اليقين والرضا.

١١- اليقين هو الغنى الحقيقي.

١٢- صلاح الأمة بالزهد واليقين.

١٣- اليقين حقيقة الصديقية.

١٤- اليقين سبب للمبادرة والمسارعة إلى عمل الصالحات.

١٥- أهل اليقين خصهم الله بالهدى والفلاح من بين العالمين.

١٦- اليقين يورث البصيرة.

١٧- باليقين تطمئن القلوب.

١٨- اليقين سبب لإجابة الدعاء.

١٩- اليقين حامل على مواجهة الأهوال وركوب الأخطار.

٢٠- اليقين شفاء للأدواء القلبية والجسدية.

٢١- اليقين سبب للنجاة من عذاب القبر.

٢٢- اليقين يملأ القلب خوفاً من الله، وهذا سبب للنجاة من النار.



٢٣- اليقين سبيل إلى الجنات، والشوق إليها.

درجت اليقين:

صور ونماذج لمن صح يقينه:

١- إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-.

٢- كليمُ الله موسى -عليه السلام- ويقينه العالي.

٣- سحرة فرعون ويقينهم العالي.

٤- هاجر -عليها السلام- وقمة اليقين.

٥- الرسول الأمين ﷺ وقوة اليقين في رب العالمين.

نماذج من الجيل الفريد الذى تربى بالقرآن وعلى عين النبي ﷺ:

للأنصار-رضي الله عنهم- يقينٌ أغربُ من الخيال، وأطيبُ من المِسْك.

يقين امرأة من بنى عبد الدار.

الصديق الأكبر -رضي الله عنه- ويقينه الكبير يوم موت رسول الله ﷺ.

يقين عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-.

يقين عثمان بن مظعون -رضي الله عنه-.

أبو موسي الاشعري -رضي الله عنه- يبث اليقين في قلوب الناس.

يقين أنس-رضي الله عنه-.

يقين صاحبة الأعنز.

يقين أبي عبد الله مردنيش: الزاهد المجاهد، أبو عبد الله، محمد الجذامي المغربي.

يقين الشيخ عبد القادر الجيلاني؛ الإمام، العالم، الزاهد.

يقين الشيخ الإمام أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الحيري.

فضل اليقين[١]:

١- استفدت كثيراً من كتاب" اليقين زبدة أعمال القلوب " للدكتور/ سيد حسين العفاني- حفظه الله - بتصرف.





مقدمة:

اليقين زبدة أعمال القلوب، ورأس مال الفائزين، وأفضل أعمال السائرين إلى رب العالمين.

يقول ابن القيم- رحمه الله- في كتاب "مدارج السالكين:٢/٣٩٧": " اعلم يا أخي أن اليقين من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد، وبه تفاضَل العارفون، وفيه تنافس المتنافسون، وإليه شمّر العاملون، وعملُ القوم إنما كان عليه، وإشاراتُهم كلها إليه، فاليقين روح أعمال القلوب التي هي روح أعمال الجوارح، وهو حقيقة الصديقية، وهو قطب هذا الشأن الذي عليه مدارُه ". اهـ باختصار

وصدق ابن القيم -رحمه الله- عندما قال:" فاليقين روح أعمال القلوب التي هي روح أعمال الجوارح". فاليقين للقلب كالماء والهواء للجسد، فجرعة من اليقين تجعل القلب يصمد أمام أمواج المادية الطاغية دون أن يبتل، ويواجه عواصف الشهوات العارمة دون أن يناله رذاذها، فيظل ناجيًا وسط الهلكى صحيحًا بين المرضى، فجرعة من اليقين تجعل القلب يطير شوقًا إلى الجنة، وطمعا فيما عند الله.

- **وكل من لم يعمل بيقين فلا يتعب نفسه.**

يقول بلال بن سعد-رحمه الله-:" عِبَادَ الرَّحْمَنِ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ تَعْمَلُونَ فِي أَيَّامٍ قِصَارٍ لِأَيَّامٍ طُوَالٍ، فِي دَارِ زَوَالٍ لِدَارِ مُقَامٍ، وَدَارِ حُزْنٍ وَنَصَبٍ لِدَارِ نَعِيمٍ وَخُلْدٍ، وَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ على الْيَقِينِ فَلَا يَتَعَنَّ- أي لا يتعب نفسه -".

فالحديث عن اليقين من الأهمية بمكان خصوصًا في هذا الزمان حيث اهتزت صورة الجنة في الأذهان، وبدلًا من التصديق واليقين كان الشك والتخمين، وصار الناس يثقون ويعتمدون على البشر أكثر من ثقتهم واعتمادهم على رب البشر، وانقلبت الدنيا حقيقة لتصبح الآخرة خيالًا، وأصبح وجود الحساب والجزاء عندهم مسألة فيها نظر- إلا ما رحم ربي- الناس لا ينطقون بهذا لكن أعمالهم وجوارحهم تشهد بذلك، فهم على المعاصي يتجرءون، وعن الطاعات معرضون، وعلى غير الله يعتمدون ويتوكلون.



فوالله.. لو علمنا علم اليقين، لو اطلعنا على الجنة لحظة، أو نالنا من النار لفحة، أو تقلبنا في ظلمات القبر ليلة، لتغيرت أحوالنا.

لكن ما الفارق بين أن يأتيك الخبر عن رب العالمين أو عن الرسول الأمين ﷺ بما في الجنة من النعيم المقيم، أو بما في النار من العذاب الأليم، وبين كونك ترى هذا رأي العين؟ إنه اليقين.

فلما غاب اليقين عن القلوب كان ما كان، رضينا من الدين بالكلام، ووُعد الإنسان منا بالجنة فنام، وخُوف وحُذر من النار، لكن هو منها في جراءة وإقحام.

آه لو مس اليقين قلوبنا؛ لانقشعت عنها سحب الهوى، فنعبد الله كأننا نراه، وكأننا نرى الجنة والنار رأي العين.

كان حاتم الأصم- رحمه الله- إذا قام إلى صلاته كأن الجنة عن يمينه، والنار عن شماله، والكعبة أمامه والموت خلفه، والله مطلع عليه. وبهذا سادوا وقادوا، فالفارق بيننا وبينهم؛ قوة اليقين.

فباليقين كانوا يقدمون على الأمور العِظام، ويبذلون النفس والمال، فكان أحدهم ينخلع من ماله ثقة فيما عند الله. (فمن أيقن بالخلف جاد بالعطية)، وكان أحدهم يُطعن بالرمح فيقول: فزت ورب الكعبة.

جاءنا من أخبارهم التي لولا النقل الصحيح لقلنا: هذا ضرب من الخيال، أو هو شيء محال.



واليقين له فضائل وفوائد كثيرة، منها:

١- اليقين من أفضل الأعمال:

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود والنسائي من حديث عبدِ اللهِ بنِ حُبْشِيٍّ الخَثعميِّ ﷺ أنَّ النَّبيَّ ﷺ سُئِلَ أيُّ الأعمالِ أفضَلُ[١]؟ قالَ: إيمانٌ لا شَكَّ فيهِ[٢]، وجِهادٌ لا غلولَ فيهِ، وحَجَّةٌ مبرورةٌ...". (صحيح النسائي: ٢٥٢٥)

والإيمان الذي لا شك فيه هو اليقين، ولأنه من أعمال القلوب، ولأنه من أفضل الأعمال، لذا تفاضل الناس عند الله به أضعاف أضعاف ما تفاضلوا بغيره.

قال أبو الدرداء رضي الله عنه:" يا حبذّا نوم الأكياس وإفطارهم!! كيف يعيبون سهر الحمقى وصومهم، ومثقال ذرة من برٍّ من صاحب تقوى ويقين أعظم وأفضل وأرجح من أمثال الجبال من عبادة المغترين ". (حلية الأولياء:١/٢١١)

قال ابن القيم-رحمه الله- معلقًا على كلام أبي الدرداء رضي الله عنه:" وهذا من جواهر الكلام، وأدلّه على كمال فقه الصحابة، وتقدمهم على من بعدهم في كل خير- رضي الله عنهم-، فاعلم أن العابد، إنما يقطع منازل السير إلى الله بقلبه وهمته لا ببدنه ". (الفوائد:١/١٤١)

٢- لا ينتفع بآيات الله وبراهينه إلا الموقنون:

قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ (الذاريات:٢٠)

أخرج الطبري بسنده إلى قتادة أنه قال في تفسير الآية السابقة:" وفي الأرض معتبر لمن اعتبر".

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ (الأنعام:٧٥)

١- أيُّ الأعمالِ أفضَلُ؟:أي، أيُّ أعمالِ العبادِ أكثرُ ثوابًا وأفضلُ أجرًا؟.

٢- إيمانٌ لا شَكَّ فيه"، أي: تَصديقٌ وإقرارٌ بالقَلبِ يَبلُغُ حدَّ اليقينِ، بحيث لا يبْقى معَه أدنى تَردُّدٍ في الحقِّ.



٣- اليقين هو الإيمان كله:

ذكر الحافظ ابن حجر في" الفتح:١٠/٤٨" عن عبد الله بن مسعودﷺ أنه قال:" اليقين الإيمان كله".

ثم علق الحافظ ابن حجر-رحمه الله- على كلام عبد الله بن مسعود ﷺ فقال:" ومراد ابن مسعود ﷺ أن اليقين هو أصل الإيمان، فإذا ايقين القلب انبعثت الجوارح كلها للقاء الله بالأعمال الصالحة، حتى **قال سفيان الثوري-رحمه الله-**:" لو أن اليقين وقع في القلب كما ينبغي، لطار اشتياقًا إلى الجنة، وهربًا من النار". اهـ

وقال ابن القيم-رحمه الله- في كتابه الفوائد ص:٨٥:" إن منزلة اليقين عالية، سامية غالية، ولذا كانت أول صفة مُدح بها المؤمنون في القرآن: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ **(البقرة:٣)**، بل هي أصل الإيمان، فالإيمان قلب الإسلام ولبه، واليقين قلب الإيمان ولبه، وكل علم وعمل لا يزيد الإيمان واليقين قوة فمدخول، وكل إيمان لا يبعث على العمل فمدخول ". اهـ بتصرف

وقد أخرج الحاكم في "مستدركه" وابن عساكر في "تاريخ دمشق" عَنْ عُمَرَﷺ قَالَ:" كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ جَالِسًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" أَتَدْرُونَ أَيُّ أَهْلِ الْإِيمَانِ أَفْضَلُ إِيمَانًا؟، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ الْمَلَائِكَةُ؟، قَالَ: " هُمْ كَذَلِكَ وَيَحِقُّ ذَلِكَ لَهُمْ وَمَا يَمْنَعُهُمْ وَقَدْ أَنْزَلَهُمُ اللَّهُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي أَنْزَلَهُمْ بِهَا، بَلْ غَيْرُهُمْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَالْأَنْبِيَاءُ الَّذِينَ أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالنُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ؟، قَالَ:" هُمْ كَذَلِكَ وَيَحِقُّ لَهُمْ ذَلِكَ وَمَا يَمْنَعُهُمْ وَقَدْ أَنْزَلَهُمُ اللَّهُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي أَنْزَلَهُمْ بِهَا، بَلْ غَيْرُهُمْ، قَالَ: قُلْنَا: فَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:" أَقْوَامٌ يَأْتُونَ مِنْ بَعْدِي فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ فَيُؤْمِنُونَ بِي وَلَمْ يَرَوْنِي، وَيَجِدُونَ الْوَرَقَ الْمُعَلَّقَ فَيَعْمَلُونَ بِمَا فِيهِ، فَهَؤُلَاءِ أَفْضَلُ أَهْلِ الْإِيمَانِ إِيمَانًا[١] ". (السلسلة الصحيحة:٣٢١٥)

١- ضعف هذا الحديث بعض أهل العلم ومنهم الألباني في" السلسلة الضعيفة: ٦٤٧" ففي الحديث محمد بن أبي حميد وهو ضعيف، ثم تراجع الألباني عن تضعيفه وحسنه بطرقه كما جاء في "السلسلة الصحيحة: ٣٢١٥"
تنبيه: قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الحديث السابق :" أَيُّ النَّاسِ أَعْجَبُ إِيمَانًا" إلَى قَوْلِهِ: " قَوْمٌ يَأْتُونَ بَعْدِي يُؤْمِنُونَ بِالْوَرَقِ الْمُعَلَّقِ" هو يَدُلُّ عَلَى أَنَّ إيمَانَهُمْ عَجَبٌ أَعْجَبُ مِنْ إيمَانِ غَيْرِهِمْ، وَلَا يدُلُّ عَلَى أَنهم أَفْضَلُ؛ فَإِنَّ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُمْ ذَكَرُوا الْمَلَائِكَةَ وَالْأَنْبِيَاءَ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ أَفْضَلُ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْوَرَقِ الْمُعَلَّقِ.

ما أجمل هذا الحديث، وأثلج نزوله على قلوب المؤمنين، وهم يسمعون مديح رسول الله ﷺ لهم، و تثبيته لقلوبهم التي تهب عليها زوابع الشك العاتية صباح مساء، إنها اللمسة الحانية التي تمسح التعب عن الأجساد والأرواح، وشهادة التقدير التي تزيل الهموم والآلام، وهل مُدح هؤلاء إلا بسبب يقينهم؟! وهل فاق إعجاب رسول الله ﷺ بهم إعجابه بالملائكة والنبيين والصحابة إلا من أجل إيمانهم بالغيب وتصديقهم؟!. **(البحث عن اليقين لخالد أبو شادي ص:٣١)**

فاليقين من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد، وبه تفاضل العارفون، وفيه تنافس المتنافسون، وإليه شمَّر العاملون.

٤- بالصبر واليقين تحصل الإمامة في الدين:

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ **(السجدة: ٢٤)**

قال سفيان بن عيينة -رحمه الله -: " لما أخذوا برأس الأمر جعلناهم رءوسًا ".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: " إنما تُنال الإمامة في الدين بالصبر واليقين".

والصبر على الطاعة – وهو أفضل أنواع الصبر– مرتبطٌ ارتباطًا وثيقًا باليقين.

ولذا جاء في وصية لقمان لابنه:" يا بني! لا يُستطاع العمل إلا باليقين، ولا يعمل المرء إلا بقدر يقينه، ولا يفتر عامل حتى ينقص يقينه ". **(اليقين لابن أبي الدنيا)**

وفي لفظ آخر: " يا بني! لا يُستطاع العمل إلا باليقين، ومن يضعف يقينه يضعف عمله ".

وقال ابن القيم-رحمه الله - في كتابه" مدارج السالكين:٢/٣٩٧": " وإذا تزوج الصبر باليقين ولد بينهما حصول الإمامة في الدين، **وقد قال رب العالمين في كتابه الكريم:** ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ **(السجدة:٢٤)**

وَنَظِيرُهُ: كَوْنُ الْفُقَرَاءِ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ بَعْدَ الدُّخُولِ يَكُونُونَ أَرْفَعَ مَرْتَبَةً مِنْ جَمِيعِ الْأَغْنِيَاءِ، وَإِنَّمَا سَبَقُوا لِسَلَامَتِهِمْ مِنْ الْحِسَابِ. وَهَذَا بَابُ التَّفْضِيلِ بَيْنَ الْأَنْوَاعِ فِي الْأَعْيَانِ وَالْأَعْمَالِ وَالصِّفَاتِ أَوْ بَيْنَ أَشْخَاصِ النَّوْعِ بَابٌ عَظِيمٌ يَغْلَطُ فِيهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ " .اهـ (مجموع الفتاوى:١١/ ٣٧١)



والصبر عن المعصية لا يكون إلا باليقين، وترك المعصية ولذة الشهوة لا يكون الا باليقين بملاحظة حسن الجزاء ودوام وعظم لذة الآخرة.

قال ابن القيم-رحمه الله-:" فمتى عُرف التفاوت بين اللذتين والألمين وأنه لا نسبة لأحدهما إلى الآخر، هان عليه ترك أدنى اللذتين لتحصيل أعلاهما، واحتمال أيسر الألمين لدفع أعلاهما، وإذا تقررت هذه القاعدة فلذة الآخرة أعظم وأدوم، ولذة الدنيا أصغر وأقصر، وكذلك ألم الآخرة وألم الدنيا، والمُعوَّل في ذلك على الإيمان واليقين، فإذا قوي اليقين وباشر القلب آثر الأعلى على الأدنى في جانب اللذة، واحتمل الألم الأسهل على الأصعب ". اهـ

والصبر على البلاء يهونه اليقين، ألم يقل الرسول ﷺ:" ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا"

قال أبو الدرداء رضي الله عنه:" مثل اليقين والصبر مثل فدادين يحفران الأرض، فإذا جلس واحد جلس الآخر". (صفة الصفوة: ٤/٦)

وقال زهير بن نعيم البابي-رحمه الله-:" إن هذا الأمر(الإمامة في الدين) لا يتم إلا بشيئين: الصبر واليقين، فإن كان يقيناً ولم يكن معه صبر لم يتم، فإن كان صبرًا ولم يكن معه يقين لم يتم ".

وقال ابن تيمية-رحمه الله- في كتابه" الاستقامة: ٢/١٦١":" ولا يمكن العبد أن يصبر إذا لما لم يكن له ما يطمئن له، ويغتذي به، وهو اليقين ". اهـ

٥- أهل اليقين يعطيهم الله الأجر العظيم، وينجيهم من نار الجحيم:

وقد أخبر الله تعالى عن أهل النار بأنهم لم يكونوا من أهل اليقين.

فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ **(الجاثية:٣٢)**

وأخرج الإمام أحمد وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: دخلتُ علَى النَّبيِّ ﷺ وهوَ يوعَكُ فوضعتُ يدي عليهِ فوجدتُ حرَّهُ بينَ يديَّ فوقَ اللِّحافِ، فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ! ما أشدَّها عليكَ، قالَ:" إنَّا كذلِكَ يضعَّفُ لَنا البلاءُ، ويضعَّفُ لَنا الأجْرُ"، قلتُ: يا



رسولَ اللَّهِ! أيُّ النَّاسِ أشدُّ بلاءً؟ قالَ:" الأنبياءُ قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ! ثُمَّ مَن؟ قالَ:" ثُمَّ الصَّالِحونَ، إن كانَ أحدُهُم ليُبتَلى بالفَقرِ حتَّى ما يجدُ أحدُهُم إلَّا العَباءةَ يَحويها وإن كانَ أحدُهُم ليفرَحُ بالبلاءِ كما يفرَحُ أحدُكُم بالرَّخاءِ ". (الصحيحة: ٢٠٤٧) (صحيح ابن ماجه: ٣٢٦٦)

قطعت أصبع زوجة فتح الموصلي فضحكت، فقال لها بعض من معها: أتضحكين وقد انقطع إصبعك؟! فقالت: أخاطبك على قدر عقلك، حلاوة أجرها أنستني مرارة قطعها ". (مدارج السالكين: ٢/١٦٧)

قُتل الخَرَّاصون:

أخرج أبو داود عن أبي عبد الرحمن مُعاذِ بنِ جَبَلٍ ﷺ: أنه كان لا يجلس مجلسًا حين يجلس إلا قال: اللهُ حكمٌ قسطٌ، هلك المرتابون ".

ويكاد هذا يكون تفسيرًا لقوله تعالى: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ (الذاريات:١٠) أي: خاب وخسر الذين لا يوقنون وهو شتم لهم وتعيير، والخراصون أهل الغرة والظنون كما قال قتادة. (تفسير ابن كثير: ٤/٢٥٩)

قال صاحب" التحرير والتنوير": " الخرص: الظن الناشئ عن وجدان في النفس مستند إلى تقريب ولا يستند إلى دليل، يشترك العقلاء فيه، وهو يرادف: الحزر والتخمين، ومنه خرص النخل والعنب: أي تقدير ما فيه من الثمرة بحسب ما يجده الناظر، وإطلاق الخرص على ظنونهم الباطلة في غاية الرشاقة لأنها لا دليل عليها غير ما حسُن لظانيها ". (التحرير والتنوير: ١/١٤٠٢)

ويشهد لهذا قول الله بعدها: ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ (الذاريات:١٢)، تشكيكًا في يوم البعث وتكذيبًا له.

ومن المعلوم أن الظن لا يجتمع مع اليقين، ولابد لأحدهما أن يطرد الآخر وينتصر عليه، ولذا قال المشركون: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ (الجاثية:٣٢) ومن المسلمين اليوم من يردد نفس الكلمة بفعاله، وإن لم ينطقها بلسانه.

٦- اليقين الدواء الشافي للشك والريب:

قد غدا الشك من أخطر أمراض عصر اليوم، وقد غزا قلوب الكثيرين لخلوها من الزاد النافع، والشيطان يدخل فورًا على الفارغ، فكيف إذا كان القلب محشوًّا بزاد الأبالسة من الشهوات والشبهات؟!

وهو من أخطر أمراض القلب على الإطلاق وأشدها فتكًا، وهو يأكل القلب كما تأكل النار الحطب، ويمزقه تمزيقًا، ولايزال ينهشه، ويوقعه في براثن الكفر والعياذ بالله، وهو بلاء عم وطم، وصار يلعب بعقول ضعاف الإيمان وعطاش الروح من اليقين، ويضيع عليهم فرص النجاة والظفر بالجنة، وأخطره الشك في وجود الله، أو الشك في قدرة الله، أو الشك في أي صفة وصف الله بها نفسه.

وقد مدح الله المؤمنين بأنهم لم يدخل في قلوبهم شيء من الريب ولا خالطهم شك من الشكوك، وحصر الإيمان فيمن لم يشك حين قال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ (الحجرات:١٥)

وبهذا يظهر أن انتفاء الارتياب في إيمانهم أعلى رتبة من الإيمان نفسه إذ به قوام الإيمان وقيامه.

وقال الشيخ عليّ الطنطاوي وهو يشرح ذلك:" والشبهات أخطر بنتائجها لأنها تؤدي إلى الكفر، ولكن الشهوات أشد بطبيعتها؛ إذ إن الشُبَّان لا يستجيب منهم للشبهة إلا قليل، أما ما يثير الغرائز ويحرك الرغبات فيلقى الاستجابة عند الجميع، وإن كان منهم من يصبر ويقاوم ويطوي جوانحه على مثل النار الآكلة ابتغاء ثواب الله وخوفا من عقابه. الأولى كالمرض الذي يقتل ولكن عدواه بطيئة والوقاية منه ممكنة، والثانية كالمرض الذي يُضني وإن كان لا يُفني، ويُضعف وإن كان لا يميت، ولكن عدواه سريعة والتوقي منه صعب. **(فصول إسلامية ص:٩٥) (رحلة البحث عن اليقين لخالد أبو شادي ص:٣٩)**

نفي الريب والشك عن القرآن، والأجل، والموت، لماذا؟

لو تتبعنا آيات القرآن لوجدناها تنفي الريب عن أمور ثلاثة، وتعيد ذلك مرارًا وتكرارًا.

فتارة تنفي الريب عن الكتاب: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ **(البقرة:٢)**



ومرة تنفي الريب عن الساعة: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (آل عمران:٢٥)

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ (النساء:٨٧)

ومرة ثالثة تنفي الريب عن الأجل: ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ (الإسراء:٩٩)

ولكن يبقى السؤال: لماذا نفي الريب والشك في هذه الثلاثة بالذات؟!

والجواب: إنها الثغرات التي يهاجم منها الشيطان، ومنها قلب الإنسان، فيبث فيه الشك في الحساب والجزاء، وإذا وهن اليقين بالجزاء فقل على كل من الدنيا والأخرة السلام. وكذلك الكتاب، إذا كان الشك في وروده من عند الله وهنت صلة الناس به وتعامل الناس معه على أنه كتاب بشري، يُقرأ أو يُهجر، يُعتني به أو يترك حتي يسكن التراب سطحه، وكذلك الأجل وهو فراق الدنيا، إذا كان الريب منه طال أمل العبد وساء عمله واشتد ظلمه وتكرر جهله، ولا تُسدّ هذه الثغرات في وجه الشيطان إلا ببناء سدود اليقين المنيعة التي تمنع الاقتحام. (المصدر السابق)

قال أحمد بن عاصم الأنطاكي:" يسير اليقين يخرج كل شك من القلب ". (نزهة الفضلاء:٢/٩٥٥)

وقال ابن القيم -رحمه الله - كما في" مدارج السالكين: ٢/٤١٣": اليقين روح أعمال القلوب التي هي روح أعمال الجوارح، وهو حقيقة الصدّيقية وهو قطب هذا الشأن الذي عليه مداره، ومتى وصل اليقين إلى القلب امتلأ نورًا وإشراقًا، وانتفى عنه كل ريب وشك وسخط وهمّ وغمّ، فامتلأ محبة لله وخوفًا منه، ورضي به، وشكرًا له، وتوكلًا عليه، وإنابة إليه ". اهـ

٧- اليقين روح أعمال القلوب:

أعمال القلوب لا نهاية لها، واليقين روح أعمال القلوب التي هي روح أعمال الجوارح.



إن أول ما تبدأ به أعمال القلوب جميعًا وتصحح بها هو: العلم، ولذا فإن الإمام البخاري- رحمه الله- جعل ترجمة في "صحيحه":" باب العلم قبل القول والعمل"، **وقول الله تبارك وتعالى:** ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ **(محمد:١٩)**

فأول ما يطرق قلب المؤمن من معرفة الرب تبارك وتعالى والإيمان به هو العلم، وهو أن يعلم أنه لا إله إلا الله، وأن النار حق، وأن الجنة حق، وأن البعث بعد الموت حق، وأن الرسل حق، وأن كل ما أخبر الله تبارك وتعالى به أو أخبر به رسوله ﷺ حق.

لكن هذا العلم درجات، منه ما يكفي للدخول في الإسلام، فإذا زاد أوصل إلى الإيمان، فإذا زاد قاد إلى درجة أعلى من الإيمان وهي الإحسان، والإحسان في أعمال القلوب هو اليقين، وفي أعمال الجوارح كذلك، **كما ورد في حديث جبريل:**

أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ". ولأنه لا انفكاك بين أعمال القلوب وأعمال الجوارح، ولأن أعمال الجوارح تتبع أعمال القلب حيث تأتمر بأمره وتنتهي بنهيه، كان اليقين أشرف المقامات وأعلاها ". **(رحلة البحث عن اليقين ص:٣٨)**

٨- باليقين تغفر الذنوب:

اعلم يا أخي أن الخوف لا يكون إلا بعد اليقين، فمردّ الفضل كله إلى اليقين الذي يزرع الخوف في الأفئدة، وفي آخر طريق الخوف ينتظرك غفران الذنوب على شوق ولهفة، فمن ثمرات اليقين إذن: غفران الذنوب أو حبوط الذنوب.

جاء رجل إلى معاذ بن جبل ﷺ فقال: أخبرني عن رجلين، أحدهما مجتهد في العبادة كثير العمل قليل الذنوب، إلا أنه ضعيف اليقين يعتريه الشك في أموره، فقال معاذ ﷺ: ليحبطن شكّه أعماله. قال: فأخبرني عن رجل قليل العمل إلا أنه قوي اليقين وهو في ذلك كثير الذنوب، فسكت معاذ ﷺ فقال الرجل: والله لئن أحبط شكّ الأوّل أعمال بره، ليحبطن يقين هذا ذنوبه كلها، قال: فأخذ معاذ ﷺ بيده وقام قائماً ثم قال: ما رأيت الذي هو أفقه من هذا ". (قوت القلوب لأبي طالب المكي ص: ٢٧٥)

٩- اليقين يهون على الإنسان مصائب الدنيا:

فقد أخرج الترمذي والحاكم عن ابن عمر-رضي الله عنهما- قال: قلَّما كانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يقومُ من مَجلسٍ حتَّى يدعوَ بِهَؤلاءِ الكلِماتِ لأصحابِهِ: اللَّهمَّ اقسِم لَنا من خشيتِكَ ما يَحولُ بينَنا وبينَ معاصيكَ، ومن طاعتِكَ ما تبلِّغُنا بِهِ جنَّتَكَ، ومنَ اليقينِ ما تُهَوِّنُ بِهِ علَينا مُصيباتِ الدُّنيا، ومتِّعنا بأسماعِنا وأبصارِنا وقوَّتنا ما أحييتَنا، واجعَلهُ الوارثَ منَّا، واجعَل ثأرَنا على من ظلمَنا، وانصُرنا علَى من عادانا، ولا تجعَل مُصيبتَنا في دينِنا، ولا تجعلِ الدُّنيا أَكْبرَ همِّنا ولا مبلغَ عِلمِنا، ولا تسلِّط علَينا مَن لا يرحَمُنا ". (صحيح الجامع: ١٢٧٩)

كَانَ عَطَاءٌ الْخُرَاسَانِيُّ لَا يَقُومُ مِنْ مَجْلِسِهِ حَتَّى يَقُولَ:" اللَّهُمَّ هَبْ لَنَا يَقِيناً بِكَ حَتَّى تَهُونَ عَلَيْنَا مُصِيبَاتُ الدُّنْيَا، وَحَتَّى نَعْلَمَ أَنَّهُ لَا يُصِيبُنَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَنَا عَلَيْنَا، وَلَا يَأْتِينَا مِنْ هَذَا الرِّزْقِ إِلَّا مَا قَسَمْتَ بِهِ ".

أهل اليقين إذا نزلت بهم مصيبة لا يتسخطوا ولا يجزعوا لأنهم يعلمون علم اليقين أن القدر جرى بها، وأنها مقدرة في أم الكتاب، فلا بد منها، فإنه ليس لأحد مفر عن أمر الله وقضائه، ولا محيد له عن حُكمه النافذ وابتلائه.



قال تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة:٥١)

وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (الحديد:٢٢)

قال ابن جرير-رحمه الله-:" من قبل أن نبرأ الأنفس، يعني: من قبل أن نخلقها ".

وقال جل وعلا: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (التغابن:١١)

وقال علقمة -رحمه الله- في تفسير هذه الآية:" هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله، فيرضى ويسلم ". (تفسير ابن جرير: ١٢٣/٢٨) (تفسير ابن كثير: ٨/ ١٦٣)

وأخرج مسلم عن عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما- قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:" كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الخلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّموَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ على الماَءِ ".

أخرج أبو داود عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" إنَّ أولَ ما خلق اللهُ القلمُ، فقال لهُ: اكتبْ، قال: ربِّ وماذا أكتبُ؟ قال: اكتُبْ مقاديرَ كلِّ شيءٍ حتى تقومَ الساعةُ. يا بنيَّ إني سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول:" من مات على غيرِ هذا فليس مِني ". (صحيح أبي داود: ٤٧٠٠)

أخرج البخاري معلقًا ووصله النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:" يا أبَا هُرَيْرَةَ، جَفَّ القَلَمُ بما أَنْتَ لَاقٍ ".

قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله-:" جف القلم بما أنت لاق" أي: نفذ المقدور بما كتب في اللوح المحفوظ، فبقي القلم الذي كتب به جافاً لا مداد فيه، لفراغ ما كتب به ". (فتح الباري:١١٩/٩)

أخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن عباس-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:" جفَّ القلمُ بما هو كائنٌ إلى يومِ القيامةِ ".

وعند الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:" جَفَّ القلمُ على عِلمِ اللَّهِ ". (صحيح الترمذي: ٢٦٤٢)

ولهذا لما جيء بسعيد بن جبير-رحمه الله- إلى الحجاج ليقتله بكى رجل، فقال سعيد: ما يبكيك؟ قال: لما أصابك، قال، فلا تبك، كان في علم الله أن يكون هذا، ثم تلا: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (الحديد:٢٢) (سير أعلام النبلاء: ٤/٣٣٧)

فإذا علم المبتلى هذا بأن هذه المصيبة مقدرة عليه في أم الكتاب فلابد منها فجزعه لا يزيده إلا بلاءً.

وقال على بن أبي طالب ﷺ:" إنك إن صبرت جرت عليك المقادير وأنت مأجور، وإن جزعت جرت عليك المقادير وأنت مأزور". (الرضا لابن أبي الدنيا ص٢٩)

وقال يحيي بن معاذ -رحمه الله-:" ابن آدم! ما لك تأسف على مفقود لا يرده عليك الفوت؟ وما لك تفرح بموجود لا يتركه في يديك الموت. فقضاء الله نافذ كالسيف وأمره واقع لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ".

١٠ - الروح والفرج في اليقين والرضا:

فقد أخرج أبو نعيم في الحلية من حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إنَّ رُوحَ القُدُسِ نفثَ في رُوعِي، أنَّ نفسًا لَن تموتَ حتَّى تستكمِلَ أجلَها، وتستوعِبَ رزقَها، فاتَّقوا اللَّهَ، وأجمِلوا في الطَّلَبِ، ولا يحمِلَنَّ أحدَكم استبطاءُ الرِّزقِ أن يطلُبَه بمَعصيةِ اللَّهِ، فإنَّ اللَّهَ تعالى لا يُنالُ ما عندَه إلَّا بطاعَتِهِ ". (صحيح الجامع: ٢٠٨٥)

وكذا قال عبد الله بن مسعود ﷺ:" إن الرَّوح والفرج في اليقين والرضا، وإنَّ الغمَّ والحزن من الشك والسُّخط ". (لا يصح هذا الحديث مرفوعًا وقد رواه البيهقي في شعب الإيمان موقوفًا على ابن مسعود ﷺ)



وقد مر بنا كلام ابن القيم -رحمه الله - كما في" مدارج السالكين: ٢/ ٤١٣" حيث قال:"... ومتى وصل اليقين إلى القلب امتلأ نورًا وإشراقًا، وانتفى عنه كل ريب وشك وسخط وهمّ وغمّ، فامتلأ محبة لله وخوفًا منه، ورضى به، وشكرًا له، وتوكلًا عليه، وإنابة إليه ". اهـ

وأخرج الإمام أحمد وابن ماجه من حديث أبي بكر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" **عليكُمْ بالصِّدقِ؛ فإنَّهُ مع البِرِّ، وهُما في الجنةِ، وإيَّاكُمْ والكذبَ؛ فإنَّهُ مع الفجورِ، وهُما في النارِ، وسَلوا اللهَ المُعَافَاةَ؛ فإنَّهُ لَمْ يُؤْتَ بعدَ اليَقينِ خيرٌ مِنَ المُعَافَاةِ. ولا تَقَاطَعُوا، ولا تَدَابَرُوا، ولا تَحاسَدُوا، ولا تَبَاغَضُوا، وكُونُوا عِبادَ اللهِ إِخْوَانًا** ".

قال سفيان الثوري -رحمه الله- :" اليقين أن لا تتهم مولاك في كل ما أصابك ". (الحلية:٧/ ٩)

ففسّر اليقين بالرضا.

وقال سهل التستري-رحمه الله-:" حظ العبيد من اليقين على قدر حظهم من الرضا، وحظهم من الرضا على قدر عيشهم مع الله عز وجل ". (إحياء علوم الدين:٤/ ٣٦٦)

وقال أبو عثمان الحيري-رحمه الله-:" منذ أربعين سنة ما أقامني الله تعالى في حالة فكرهتها، ولا نقلني إلى غيرها فسخطتها ". (المصدر السابق)

١١- اليقين هو الغنى الحقيقي:

اجتمع حذيفة المرعشي وسليمان الخواص ويوسف بن أسباط -رحمهم الله- فتذاكروا الفقر والغنى، وسليمان ساكت، فقال بعضهم: الغنيُّ من كان له بيت يُكنَّه، وثوب يستره، وسداد من عيش يكفه عن فضول الدنيا، قال بعضهم: الغنيُّ من لم يحتج إلى الناس، فقيل لسليمان: ما تقول أنت يا أبا أيوب؟ فبكى ثم قال: رأيت جوامع الغنى في التوكل، ورأيت جوامع الشر في القنوط، والغنى حقُّ الغني: من أسكن الله قلبه من غناه يقينًا، ومن معرفته توكلًا، ومن عطاياه وقسْمه رضا، فذاك الغنيُّ حقُّ الغني، وإن أمسى طاويًا، وأصبح معوزًا، فبكى القوم جميعًا من كلامه ".



١٢ - صلاح الأمة بالزهد واليقين:

أخرج الإمام أحمد في الزهد والطبراني من حديث عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:" صلاحُ هذه الأمةِ بالزهادةِ واليقينِ، وهلاكُها بالبخلِ والأملِ". (صحيح الجامع: ٣٨٤٥)

وعند ابن أبي الدنيا بلفظ:" نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد، ويهلك آخر هذه الأمة بالبخل والأمل" (صحيح الجامع: ٦٧٤٦)

من تأمل منهج النبي ﷺ يرى أنه ظل طوال ثلاثة عشر عامًا في مكة يبني هذا الأساس المتين (اليقين) والذي بُني عليه بعد ذلك صرح الإسلام العظيم.

إنه اليقين الذي غرسه النبي ﷺ في قلوب أصحابه فجعلهم يثبتون أمام المحن والشدائد والتنكيل والتعذيب.

فاليقين هو الزاد الذي بلغ بالصحابة-رضي الله عنهم- أعلى درجات البذل، والتضحية، والفداء، لذلك سادوا وقادوا، وفتحوا قلوب العباد والبلاد.

فصلاح الأمة باليقين، لأنه لولا اليقين لقعد الناس عن العمل وما ركبوا الأخطار والصعاب، وما بذلوا النفس والأموال، ولكن باليقين يكون البذل والعطاء، ثقة فيما عند الله من المكاسب، والمغانم، والأجر العظيم.

١٣ - اليقين حقيقة الصديقية:

ولا أدل على ذلك من يقين أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

فقد ارتدَّ ناس ممن كانوا آمنوا بالنبي ﷺ وصدقوه، وسعوا بذلك إلى أبي بكر رضي الله عنه فقالوا: هل لك في صاحبك، يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس؟! فقال: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: إن كان قال ذلك لقد صدق، فقالوا: قد صدقته أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟! قال: نعم، إني لأصدقه مما هو أبعد من ذلك.. أصدقه في خبر السماء في غدوة أو روحة.



لم يسبقنا أبو بكر ﷺ بصلاة ولا بصيام وإنما سبقنا بشيء وقر في صدره.... هذا الشيء اسمه: اليقين.

من أجل هذا كان الصديق هو الصديق، إن العبد قد ينمو يقينه مع كل موقف يمر به يوافق نبوءة أو خبرًا لرسول الله ﷺ أو قد يرى معجزات النبي ﷺ واحدة بعد واحدة فيبني يقينه بها لبنة لبنة، ويكون اكتساب اليقين هنا تراكميًّا، لكن يقين الصديق ﷺ كان من غير هذا النوع، يقين كامل من أول لحظة من إسلامه، وإيمان تام لا يضطرب من اليوم الأول.

ويتجلى يقين الصديق ﷺ كأروع ما يكون يوم الحديبية، حتى أن الكلمات التي قالها الرسول ﷺ لعمر ﷺ هي نفس الكلمات التي قالها الصديق ﷺ له.

١٤- اليقين سبب للمبادرة والمسارعة إلى عمل الصالحات:

اعلم أخي الحبيب... أن العمل يرتبط باليقين أيما ارتباط.

وكل يقين ليس له معه عمل ليس بيقين ولا شبه يقين، فليس شيء أدل على شيء من العمل على اليقين، **ويشهد لهذا قوله تعالى:** ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ **(النمل:٤)**

فاليقين بالآخرة يعني المسارعة إلى الخيرات والمبادرة إلى الأعمال الصالحة، وإنما ذُكر اليقين في سياق الصلاة وإيتاء الزكاة، ليعلم أنه علم وعمل، فهم وسعي، نظرية وتطبيق.

قال الشوكاني-رحمه الله- في تفسير هذه الآية: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ وجملة ﴿وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ في محل نصب على الحال، وكرر الضمير للدلالة على الحصر، أي: لا يوقن بالآخرة حق الإيقان إلا هؤلاء الجامعون بين الإيمان والعمل الصالح، وجعل الخبر مرفوعًا للدلالة على التجدد في كل وقت وعدم الانقطاع ". **(فتح القدير:٤/١٧٩)**

قال الحسن البصري-رحمه الله-:" باليقين طلبتُ الجنة، وباليقين هربتُ من النار، وباليقين أديتُ الفرائض على أكمل وجه، وباليقين أصبر على الحق ".



سرعة التلبية:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ (النساء:٦٦)

وقال القرطبي-رحمه الله-: "ولو" حرف يدل على امتناع الشيء لامتناع غيره، فأخبر الله سبحانه وتعالى أنه لم يكتب علينا ذلك رفقًا بنا لئلا تظهر معصيتنا، فكم من أمر قصرنا عنه مع خفته، فكيف بهذا الأمر مع ثقله؟! ولقد فاخرت يهود بهذا في عهد النبي ﷺ فقال قائلهم: والله لقد كتب علينا أن نقتل أنفسنا فقتلنا، وبلغت القتلى سبعين ألفًا، فدمغه زيد بن ثابت ﷺ بقوله:" والله لو كتب علينا أن اقتلوا أنفسكم لفعلنا ". اهـ (تفسير القرطبي)

وليس زيد ﷺ وحده هو من جدَّد عهد اليقين مع الله بل كذلك عمار بن ياسر-رضي الله عنهما- الذي كان يسير يومًا على شاطئ الفرات فقال:" اللهم لو أعلم أنه أرضى لك عني أن أتردى فأسقط لفعلت، ولو أعلم أنه أرضى لك عني أن ألقي نفسي في هذا الماء فأغرق فيه لفعلت ". (الزهد للإمام أحمد ص:٢٢٠)

ولو قيل طأ في النار أعلم أنّه رضًا لك أو مُـــدن لنا مـــن وصالك
لقدّمتُ رجلي نحوها فوطأتُهـا سرورًا لأني قد خطرتُ ببـــالك

١٥ - أهل اليقين خصهم الله بالهدى والفلاح من بين العالمين:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ(٤) أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (البقرة:٤،٥)

١٦ - اليقين يورث البصيرة:

قال شيخ أهل الشام خالد بن معدان-رحمه الله-: ما من آدمي إلا وله أربع أعين: عينان في رأسه يبصر بهما أمر الدنيا، وعينان في قلبه يبصر بهما أمر الآخرة؛ فإذا أراد اللهُ بعبد خيرًا فتح عينيه اللتين في قلبه، فأبصر بهما ما وعد بالغيب. (صفة الصفوة:٢/٣٧٤)

أين عينا قلبك؟ آه لو كان في قلبك قنطار يقين.. مثقال يقين.. ذرة يقين.. لبلغت مقام الصالحين ولزاحمت في الجنة المتقين، ولما شغلتك دنيا عن آخرة ولما ألهتك غانية عن جارية، لأن عيني قلبك مفتوحتان ليس فيهما عمش أو قصر نظر.

عينا رأسك تُريك المال الحرام نعيمًا وترفا، لكن عيني قلبك تريك إياه جمرة من نار تحرق بها نفسك. عينا رأسك تريك الخلوة غيابًا عن الرقيب وفرصة للانفكاك من عيون البشر،

لكن عيني قلبك تريك الله عليك شهيدًا ولأعمالك رقيبًا فلا فارق عندك بين سر وجهر أو باطن وظاهر.

عينا رأسك تريك الجهاد في سبيل الله قمة الهلاك، وإراقة للدم في غير فائدة، وفراقًا للأهل والزوجة والأبناء دون مقابل، ولكن عيني قلبك تريك الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام وسبيل سكني الفردوس ومهر الحور العين.

عينا رأسك تريك الفقر مفسدة وقلة المال تهلكة وشظف العيش غضبًا من الله، لكن عيني قلبك تريك إياه اختبار رضا وصيانة لك من مال لا تؤدي حقه ولونًا من ألوان الجهاد.

عينا رأسك تريك الدنيا هي العليا والآخرة هي السفلي، لكن عيني قلبك تريك الدنيا ممرًّا لا مقرًّا، وسرابًا لا حقيقة، ومزرعة تبذر فيها بذور خير تحصدها ثمارًا تتدلي من شجر الجنة -إن شاء الله-.

موجز القول:

اليقين هو العين الثاقبة التي تريك الأعمال على حقيقتها فما كان لك في الآخر أمضيته، وما كان عليك في الآخرة أعرضت عنه وطرحته، كم من عين مبصرة وبصيرتها عمياء، وقلب لا ينبض ولا روح فيه، وأناس يمشون على الأرض وهممهم في القبور منذ زمن:

ما أصدق قول الشاعر يصف الموقن بقوله:

متيقظ العزمات مذ نهضت بـــه عزماتـــه نحـــو العلا لم يقعـــد
ويكاد من نور البصيرة أن يرى في يومه فعل العواقب في غد

وحين يتوارى اليقين ويغيب عن الذهن الأجر الأخروي والثواب الرباني، ما الذي يحدث؟ اسمع على لسان رسولك ما الذي يحدث، قال ﷺ: **" لَيَأتِينَّ على الناسِ زَمانٌ، قلوبُهم قلوبُ الأعاجِمِ، حُبُّ الدُّنيا، سُنَّتُهم سُنَّةُ الأعرابِ، ما أتاهم من رزقٍ جعلوه في الحيوانِ[1]، يَرَوْن الجهادَ ضَررًا، والزكاةَ مَغْرمًا ". (السلسلة الصحيحة: ٣٣٥٧)**

١- الحيوانِ: الحياة.



فهل نحن في هذا الزمان استسلمنا للعيش فيه؟! أم أننا علينا أن نسعى لتغيير هذا الواقع المرير، وذلك بأن نجعل ما آتانا الله من رزق في الآخرة، وننظر إلى الأمور بالمنظار الصحيح، فنرى الجهاد في سبيل الله نفعًا لا ضررًا، والزكاة التي نبذلها مغنمًا لا مغرمًا.

بصائر ثاقبة:

- **بصيرة خالد بن الوليد ﷺ:**

وقد صاغه الإيمان خلقًا آخر فإذا آماله وطموحاته آمال مَلَك لا آمال بشر، **قال ﷺ:" مَا مِنْ لَيْلَةٍ يُهْدَى إِلَيّ فِيهَا عَرُوسٌ أَنَا لَهَا مُحِبٌّ، أَوْ أُبَشّرُ فِيهَا بِغُلَامٍ أَحَبّ إِلَيّ مِنْ لَيْلَةٍ شَدِيدَةِ الْبَرْدِ كَثِيرَةِ الْجَلِيدِ فِي سَرِيّةٍ أُصَبّحُ فِيهَا الْعَدُوّ". (سير أعلام النبلاء:١/٣٧٥)**

- **بصيرة سعيد بن عامر ﷺ:**

وقد عاتبته امرأته يومًا في تصدقه بماله كله قائلة له: إن لأهلك عليك حقًّا وإن لأصهارك عليك حقًّا، فيجيبها وقد رضع من اليقين رضعات مشبعات فشب عليه وبلغ أشده:" على رسلك إنه كان لي أصحاب فارقوني منذ قريب ما أحب أني صددتُ عنهم وأن لي الدنيا وما فيها ولو أن خيرة من خيرات الحسان اطلعت من السماء لأضاءت لأهل الأرض، ولقهر ضوء وجهها الشمس والقمر، ولنصيفها خير من الدنيا وما فيها، فلأنت أحرى في نفسي أن أدعك لهن من أن أدعهن لك. **(حياة الصحابة للكاندهلوي)**

- **بصيرة أبي عبد الله عبد الرحمن بن عسيلة -رحمه الله-:**

وقد رفع اليقين عنه الحجب التي تستر الغيب، فإذا الغيب متجل أمام عينيه. قال صاحبه عبادة:" من أحب أن ينظر إلى رجل كأنما عُرج به إلى أهل السماء فنظر إلى أهل الجنة وأهل النار، فرجع وهو يعمل على ما يرى فلينظر إلى هذا ". **(حلية الأولياء:٥/١٢٩)**

- **بصيرة أبي مسلم الخولاني -رحمه الله-:**

وقد غلب يقينه بثواب صبره ألمه بفقد ولده، فصار يحب موت الولد وفقد الأحبة!! قال-رحمه الله-:



" لأن يولد لي ولد يحسن الله بناءه حتي اذا استوى على شبابه وكان أعجب ما يكون إليَّ قبضه مني؛ أحب إليَّ من أن يكون لي الدنيا وما فيها ". **(المصدر السابق)**

١٧- باليقين تطمئن القلوب:

اليقين والطمأنينة كل منهما لازم للآخر، **قال تعالى:** ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ **(سورة الفجر: ٢٧)**

هي النفس الموقنة؛ وهو قول الحسن وقتادة.

قال ابن القيم-رحمه الله-:" الطمأنينة هي سكون القلب إلى الشيء، وعدم اضطرابه، ومنه قول النبي ﷺ:" **الصدق طمأنينة، والكذب ريبة ". (صحيح الترمذي:٢٠٤٥)**

الطمأنينة موجب السكينة، وأثر من آثارها، وكأنها نهاية السكينة. والطمأنينة تلزم السكينة ولا تفارقها، وكذلك بالعكس، ولكن استلزام الطمأنينة للسكينة أقوى من استلزام السكينة للطمأنينة والطمأنينة ملكة، ومقام لا يفارق والطمأنينة أعمَّ، فإنها تكون في العلم والخبر به، واليقين والظفر بالمعلوم؛ ولهذا اطمأنت القلوب بالقرآن لمّا حَصَل لها الإيمان به، ومعرفته، والهداية في ظلم الآراء والمذاهب، واكتفت به منها، وحكّمته عليها وعزلتها، جعلت له الولاية بأسرها كما جعلها الله، فبه خاصمت، وإليه حاكمت، وبه صالت. وبه دفعت الشُّبه.

وأما السكينة: فإنها ثبات القلب عند هجوم المخاوف عليه، وسكونه وزوال قلقه واضطرابه، كما يحصل لحزب الله عند مقابلة العدو وصولته، والله سبحانه أعلم.

والعبد إذا اطمأن إلى حكم الله الديني الشرعي علم أن دينه الحق وهو صراطه المستقيم، وهو ناصره وناصر أهله وكافيهم ووليهم. وإذا اطمأن إلى حكمه الكوني علم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فلا وجه للجزع والقلق إلا ضعف اليقين والإيمان ". اهـ **(مدارج السالكين لابن القيم)**



١٨ - اليقين سبب لإجابة الدعاء:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أن رسول الله ﷺ قال:" القُلوبُ أوعيةً وبَعْضُها أَوْعَى مِنْ بعض فإذا سألتم الله عز وجل أيها الناس فاسألوه وأنتم مُوقِنُون بالإجابة فإنَّ اللهَ لا يَسْتَجِيبُ لعبد دعاء عن ظهر قلب غافل ". (رواه الإمام أحمد)

وأخرج الترمذي والحاكم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلب غافل لاه ". (الصحيحة:٥٩٤) (صحيح الجامع:٢٤٥)

١٩ - اليقين حامل على مواجهة الأهوال وركوب الأخطار:

قال الفيروز أبادي-رحمه الله-:" واليقين يحمل على مباشرة الأهوال وركوب الأخطار، وهو يأمر بالتقدم دائمًا، فإن لم يقارنه العلم حمل على المَعَاطب، والعلم (وحده) يأمرُ بالتَّأَخُّر دائمًا وبالإحجام، فإنْ لم يصبه اليقين فقد يَصُدُّ صاحبه عن المكاسب والمغانم ". (بصائر ذوي التمييز:٥/٤٠٠)

يقول عصام العطّار:" إذا عرفتم الله صغُر عندكم مَن سواه وما سواه بل ذاب في أعينكم وفَنِي في قلوبكم كلُّ ما عداه، ولم يعُدْ يستأهل الطلب والنصَب إلا قربه ورضاه، وإذا استشعرتم رابطتكم بربِّكم وعونه لكم، وأيقنتم أنه معكم، رأيتم أنفسكم أقوى من كلِّ قوى الشيطان والطغيان!! وهكذا يُولد المسلم ولادَةً جديدة من عقيدته لا من رحم أمِّه، وينبعث بمعرفته بالله وحرارة إيمانه به.. ولقد أحس جند الله المؤمنون المخلصون الذين فرغوا من أنفسهم ووهبوا حياتهم - كلّ حياتهم- لربهم، فلم يتحرّكوا ولم يقفوا، ولم يُعطوا ولم يَمنعوا، ولم يُحبوا ولم يُبغضوا، ولم يحاربوا ولم يُسالموا، إلاّ به، وفيه، ومن أجله عز وجل، لقد أحسُّوا أنهم قدَرٌ من قدَرِ الله الغلاّب، لا تصدُّه ولا تردُّه قوةٌ في الأرض، إلا أن يشاء الله ". (أزمة روحية لعصام العطار)

٢٠ - اليقين شفاء للأدواء القلبية والجسدية:

أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري ﷺ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فقالَ: أَخِي يَشْتَكِي بَطْنَهُ، فقالَ:" اسْقِهِ عَسَلًا"، ثُمَّ أَتَى الثَّانِيَةَ، فقالَ:" اسْقِهِ عَسَلًا"، ثُمَّ أَتاهُ الثَّالِثَةَ، فقالَ:"



اسقه عَسَلًا"، ثُمَّ أتاه فقال: قد فَعَلْتُ؟ فقال:" صَدَقَ اللَّهُ، وكَذَبَ بَطْنُ أخِيك، اسْقِهِ عَسَلًا"، فَسَقاه فَبَرأَ ".

فانظر أخي الحبيب إلى صدق يقين النبي ﷺ في الله -عز وجل-، فالله تعالى يقول عن العسل إن فيه شفاء، إذًا لابد من اليقين بهذا، لكن هذا المريض لم ينتفع بالدواء الذى وصفه رسول الله ﷺ له إلا بعد أن أخذه بيقين، فكأن رسول الله ﷺ وصف له دواءين أولهما: روحي وهو اليقين، وثانيهما: مادي، وهو العسل، فمن أهمل أحدهما دام مرضه و استحال شفاؤه.

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله- كما في" الطب النبوي ص٣١": " ولا ينكر عدم انتفاع كثير من المرضى بطب النبوة، فإنه إنما ينتفع به من تلقاه بالقبول واعتقاد الشفاء به، وكمال التلقي له بالإيمان والإذعان، فهذا القرآن الذي هو شفاء لما في الصدور إن لم يُتلق هذا التلقي لم يحصل به شفاء الصدور من أدوائها بل لا يزيد المنافقين إلا رجسًا ومرضًا إلى مرضهم ".

وصدق والله ابن القيم، فهناك العديد ممن يتداوى بالطب النبوي: كالحجامة مثلًا فلا تُجدي معه، ولا يتم الشفاء، لأنه فعل هذا الأمر على سبيل التجربة ولم يفعله بيقين فيما أخبر البشير النذير ﷺ.

٢١- اليقين سبب للنجاة من عذاب القبر:

أخرج ابن ماجه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إنَّ الميِّتَ يصيرُ إلى القبرِ، فيَجلسُ الرَّجلُ الصَّالحُ في قبرِهِ، غيرَ فزِعٍ، ولا مَشعوفٍ[١]، ثمَّ يقالُ لَهُ: فيمَ كنتَ؟ فيقولُ: كنتُ في الإسلامِ، فيقالُ لَهُ: ما هذا الرَّجلُ؟ فيقولُ: محمَّدٌ رسولُ اللَّهِ ﷺ، جاءَنا بالبيِّناتِ من عندِ اللَّهِ فصدَّقناهُ، فيقالُ لَهُ: هل رأيتَ اللَّهَ؟ فيقولُ: ما ينبغي لأحدٍ أن يرى اللَّهَ، فيُفرَجُ لَهُ فرجةٌ قبلَ النَّارِ، فينظرُ إليها يحطمُ بعضُها بعضًا، فيقالُ لَهُ: انظر إلى ما وقاكَ اللَّهُ، ثمَّ يُفرَجُ لَهُ فرجةٌ قبلَ الجنَّةِ، فينظرُ إلى زَهْرتِها، وما فيها، فيقالُ لَهُ: هذا مقعدُكَ، ويقالُ لَهُ: على اليقينِ كنتَ، وعليهِ متَّ، وعليهِ تبعثُ، إن شاءَ اللَّهُ، ويجلسُ الرَّجلُ السُّوءُ في

١- الشعف: هو شدة الفزع حتى يذهب بالقلب.



قبرِه، فزَعًا مشعوفًا، فيقال لَهُ: فيم كُنتَ؟ فيقولُ: لا أدري، فيقال لَهُ: ما هذا الرَّجلُ؟ فيقولُ: سَمِعْتُ النَّاسَ يقولونَ قولًا، فقُلتُهُ، فيفرجُ لَهُ قبلَ الجنَّةِ، فينظرُ إلى زَهْرتِها وما فيها، فيقالُ لَهُ: انظُر إلى ما صرفَ اللَّهُ عنكَ، ثمَّ يُفرَجُ لَهُ فرجةٌ قِبَلَ النَّارِ، فينظرُ إليها، يحطمُ بعضُها بعضًا، فيقالُ لَهُ: هذا مَقعدُكَ، على الشَّكِّ كنتَ، وعليهِ متَّ، وعليهِ تبعثُ، إن شاءَ اللَّهُ تعالَى ". **(صحيح الجامع: ١٩٦٨)**

أخي الحبيب... هل عرفت الآن قدر اليقين؟! فمن أي الزادين اغترفت؟؟!

٢٢- اليقين يملأ القلب خوفًا من الله، وهذا سبب للنجاة من النار:

- **قال سفيان الثوري-رحمه الله:**" لو أن اليقين استقر في القلب كما ينبغي، لطار فرحًا وحزنًا، شوقًا إلى الجنة، أو خوفًا من النار". **(حلية الأولياء: ٧/١٧)**

- **وقال أبو سليمان الداراني -رحمه الله-:**" لكل شيء صدق، وصدق اليقين الخوف من الله ".

- **وقال الحارث المحاسبي-رحمه الله-:**" ولا يكون الخوف إلا بعد اليقين، وهل رأيت خائفًا إذا لم يستيقنه؟". **(رسالة المسترشدين للمحاسبي ص: ١٦٧)**

- **قال ذو النون -رحمه الله-:**" إذا صح اليقين في القلب صح الخوف فيه ".

إن أهل اليقين الخائفين كانوا إذا ذكروا النار فكأن زفيرها في آذانهم.. منهم من بكى حتى عمى، ومنهم من مات من الخوف.

- **انظر إلى الخائف الوجل مالك بن دينار-رحمه الله- يقول:**" لو استطعتُ أن لا أنام لم أنم مخافة أن ينزل العذاب وأنا نائم، ولو وجدت أعوانًا لفرقتهم في منارات الدنيا كلها يصيحون: النار.. النار.

- وبكى عليّ بن بكار -رحمه الله- حتى عمى، وكان قد أثرت الدموع في خدَّيْه. **(سير أعلام النبلاء)**

وعليّ بن الفضيل بن عياض -رحمه الله- ظل يردّد آية في قيامه حتى مات منها، كان أبوه الفضيل يقول:" وابناه واقتيل القرآن.. واقتيل جهنماه، ما قتل ابني إلا الخوف من عذاب الله ".

وقال إبراهيم بن بشار-رحمه الله-: الآية التي مات فيها علي بن الفضيل في الأنعام: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ...﴾ الآية (الأنعام:٢٧). مع هذا الموضع مات، وكنت فيمن صلى عليه ". (المصدر السابق)

وقال بهز بن حكيم-رحمه الله-:" أمَّنا زرارة بن أبي أوفى- قاضي البصرة - في مسجد بني قُشير، فقرأ: سورة المدثر، فلما انتهى إلى هذه الآية: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ (المدثر:٨) خر ميتًا. قال بهز: فكنت فيمن حضره ". (أخرجه الإمام أحمد في الزهد) (ابن سعد في الطبقات) (والحاكم في المستدرك)

قال الذهبي في السير:٤/ ٥١٦": " صحَّ ذلك وكان ذلك سنة ثلاث وسبعين ".

أخي الحبيب... لو كان عندك يقين في قول رب العالمين: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ ما هممت بمعصية ولا خطر على قلبك ذكرها فضلًا عن أن تفعلها. (البقرة:٢٣٥)

لكن لما غاب اليقين عن القلوب تجرأنا على علام الغيوب فبارزناه بأصناف الذنوب والمعاصي.

من أي البضاعتين اشتريت؟! من الشك أم من اليقين؟

أنت الذي بيدك وحدك أن تشتري والسوق حاضرة والثمن موجود وصاحب السلعة يرغِّبك فيها، فهل أنزلت اليقين في قلبك قدره الذي يستحق؟! هل بحثت عنه وفتشت كيف تصل إليه؟!

اليقين.. حارسك في قبرك.. يناخ عنك ملائكة العذاب، ويصرف عنك ألوان العقاب، هو زادك في الحفرة المظلمة، وكنزك في سوق الآخرة.

والآن.. بكم من رصيد اليقين ستنزل القبر؟!

ولذا تُنادَى النفس الموقنة بهذا الوصف قبل نزولها قبرها ومعاينتها الحساب، وذلك عند الاحتضار ونزع الروح: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (سورة الفجر:٢٧-٣٠)

قال الحسن-رحمه الله-:" هي المؤمنة الموقنة ". (فتح القدير:٥/٦٢٥)

وهو قول قتادة -رحمه الله- كما حكاه عنه ابن الجوزي في" زاد المسير ". (زاد المسير:٩/١٢٣).

وقول مجاهد كذلك فيها:" هي التي أيقنت وضربت لذلك جأشًا"؛ أي: اطمأنت إلى اليقين. (غريب الحديث لابن الجوزي:١/١٥٦)

ويتحول يقين هذه النفس عندئذٍ كشفًا وشهادة، وذلك بعد ارتفاع الحجب عند الموت.

قال ابن زيد-رحمه الله- في النفس المطمئنة:" المطمئنة بربها، بُشّرت بالجنة عند الموت وعند البعث" (فتح القدير:٥/٦٢٥)

٢٣- اليقين سبيل إلى الجنات، والشوق إليها:

إن قصة اليقين بدأت منذ النطق بالشهادة، ومن ساعتها ظهر فضله ودوره في دخول الجنة، وهذا هو السر الذي أفشاه لنا معاذ بن جبل ﷺ عند الموت، فقد أخرج ابن حبان وأبو نعيم من حديث جابر ﷺ قال:" أنا ممن حضر معاذًا ﷺ عند موته، قال: ارفعوا عني سجف القبة- طرف القبة ليخاطب الناس- ارفعوا عليّ أحدثكم حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ ما منعني أن أحدثكم به إلا أن تتكلوا، سمعت رسول الله ﷺ يقول:" من قال: لا إله إلا الله مخلصًا ويقيناً من قلبه دخل الجنة ". (السلسلةالصحيحه:٢٣٥٥) (صحيح الجامع:٦٤٣٣)

رواه الإمام أحمد بلفظ:" من شهد أن لا إله إلا الله مخلصًا من قلبه...".

- وأخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال له:" اذهب بنعليَ هاتين، فمن لقيتَ من وراء الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه فبشّره بالجنة ".

- وأخرج البخاري من حديث شَدَّادِ بْن أوس ﷺ عن النبي ﷺ قال:" سَيِّدُ الاسْتِغْفارِ أنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أنْتَ رَبِّي لا إلَهَ إلَّا أنْتَ، خَلَقْتَنِي وأنا عَبْدُكَ، وأنا علَى عَهْدِكَ ووَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أعُوذُ بكَ مِن شَرِّ ما صَنَعْتُ، أبُوءُ لكَ بنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأَبُوءُ لكَ بذَنْبِي فاغْفِرْ لِي؛ فإنَّه لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا أنْتَ. قالَ: ومَن قالَها مِنَ النَّهارِ مُوقِنًا بها، فَماتَ مِن يومِهِ قَبْلَ أنْ يُمْسِيَ، فَهو مِن أهْلِ الجَنَّةِ، ومَن قالَها مِنَ اللَّيْلِ وهو مُوقِنٌ بها، فَماتَ قَبْلَ أنْ يُصْبِحَ، فَهو مِن أهْلِ الجَنَّةِ ".

- وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قال: كُنَّا مع رسول الله ﷺ فقام بلالٌ يُنادى(أي يؤذن) فلما سكت. قال رسول الله ﷺ:" مَنْ قال مثل هذا يقيناً دخل الجنة ".

شوق إلى الجنة منبعه اليقين:

صيْحَةُ عُمير بن الحمَامِ ﷺ: منارة من منارات اليقينِ بالله:

أخرج الإمام مسلم من حديث أنَسٍ ﷺ قال: انْطَلق رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حتَّى سَبَقُوا المشْرِكِينَ إِلَى بَدرٍ، وجَاءَ المُشرِكونَ، فقال رسُولُ اللَّهِ ﷺ:" لا يَقْدمنَّ أحَدٌ مِنكُمْ إِلَى شيءٍ حَتَّى أكُونَ أنَا دُونَه فَدَنَا المُشرِكونَ، فقَال رسُول اللَّه ﷺ:" قُومُوا إلى جَنَّة عَرْضهَا السَّموات وَالأرْضُ"، قَالَ عُمَيْرُ بْنُ الحُمَام الأنصَارِيُّ ﷺ: يا رسولَ الله! جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمواتُ والأرضُ؟ قالَ:" نَعم"، قالَ: بَخٍ بَخٍ، فقالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ:" ما يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِك بَخٍ بَخٍ؟"، قالَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رسُول اللَّه إلاَّ رَجاءَ أَنْ أكُونَ مِنْ أهْلِها، قَالَ:" فَإنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا"، فَأَخْرج تَمَرَات مِنْ قَرَنِه، فَجَعَل يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَال: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هذِهِ إِنهَا لحيَاةٌ طَويلَةٌ، فرَمى بمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ.





درجت اليقين:

اليقين على ثلاث درجات:

١-**علم اليقين:** وهو ما ظهر من الحق، وقبول ما غاب للحق، والوقوف على ما قام بالحق، فالذي ظهر من الحق هو أوامره ونواهيه ودينه الذي أظهره على ألسنة رسله. والذى غاب للحق: هو الإيمان بالغيب كالجنة والنار والصراط والحساب ونحو ذلك، أما الوقوف على ما قام بالحق أي من أسمائه وصفاته وأفعاله.

٢-**عين اليقين:** ما استغنى به صاحبه عن طلب الدليل لأن الدليل يُطلب للعلم بالمدلول، فإذا كان المدلول مشاهدًا له فلا حاجة حينئذ للاستدلال.

٣-**حق اليقين:** وهذه منزلة الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، فقد رأى نبينا ﷺ بعينه الجنة والنار وكلم الله تعالى موسى- عليه السلام- بلا واسطةٍ، أما بالنسبة لنا فإن حق اليقين يتأخر إلى وقت اللقاء.

ومما يوضح ذلك: أن يخبرك شخص أن عنده عسلًا وأنت لا تشك في صدقه. ثم أراك إياه فازددت يقينًا، ثم ذقت منه. فالأول: علم اليقين، والثاني: عين اليقين، والثالث: حق اليقين. فعلمنا الآن بالجنة والنار: علم اليقين فإذا أُزلفت الجنة للمتقين، وشاهدها الخلائق، وبرزت الجحيم للغاوين، وعاينها الخلائق فذلك: عين اليقين، فإذا أدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار فذلك حينئذٍ حق اليقين. **(مدارج السالكين:٢/٤٢٠)**



صور ونماذج لمن صح يقينه:

قيل: من صح دينه صح يقينه، فكلما ازداد الإنسان معرفة بالله وثقه به، ازداد يقينه، ولذلك أكثر الناس يقيناً هم أكثرهم معرفة بالله وأكثرهم ثقه به، وهم الأنبياء فالأمثل فالأمثل.

١- إبراهيم - عليه الصلاة والسلام-:

فها هو إبراهيم ﷺ حينما يلقونه في النيران يأتيه جبريل -عليه السلام- ويقول له: ألك حاجه؟ فيقول له: أما إليك فلا، ثم يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل ".

وفى كل موقف من مواقف الخليل تجده ملئ باليقين والثقة بالله، والتوكل عليه.

٢- كليمُ الله موسى -عليه السلام- ويقينه العالي:

فله موقف جليل يدل على عظم يقينه بالله -عز وجل- وحسن الثقة به فلقد خرج هو وأصحابه هاربين من فرعون وجنوده وساروا حتى وصلوا إلى شاطئ البحر الأحمر فإذا بهم أمام بحر لجي يقف أمامهم سدًا منيعًا ويحاولون الرجوع ولكن حيل بينهم وبين ذلك حيث كان فرعون وجنوده من ورائهم يحملون السلاح متوجهون إليهم، لا مفر، البحر أمامهم، والعدو خلفهم، وما هى إلا دقائق حتى يهجم عليهم الموت، ولا مناص. وبلغ الكرب مداه وها هو المشهد يقترب من نهايته، وهنا ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ (سورة الشعراء:٦١) لكن قال موسى-عليه السلام- في التو والفور وفى ثبات ويقين: ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (سورة الشعراء:٦٢)

(كَلَّا) في شدة وتوكيد، كلا لن نكون مدركين. كلا لن نكون هالكين.

إنه القلب الذى امتلأ يقيناً وثقة بالله-عز وجل- وفي هذه اللحظة ينبثق شعاعٌ منير في ليل اليأس البهيم وينفتح طريق النجاة من حيث لا يحتسبون حيث يأتي الأمر الإلهي إلى موسى-عليه السلام- ﴿أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ ففعل بلا تردد والنتيجة: ﴿فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ أي كالجبل العظيم، ووقعت المعجزة ومر موسى-عليه السلام- ومن معه، وحاول فرعون وجنوده اللحوق بهم ولكن انطبق عليهم البحر بأمر من رب العالمين فكانوا من المغرقين، ووقف موسى ومن معه ينظرون.

فهذه عاقبة الموقنين وهذا مآل الجاحدين.



٣- سحرة فرعون ويقينهم العالي:

يصور لنا القرآن هذا المشهد عند استدعى فرعون السحرة للمواجهة مع موسي-عليه السلام.

فقال تعالى حاكيًا هذا الموقف: ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ(٤٣) فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ(٤٤) فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ(٤٥) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ(٤٦) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ(٤٧) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ(٤٨) قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ(٤٩) قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ(٥٠) إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: ٤٣-٥١)

إنها كلمة الفئة المؤمنة التي رأت النور وملأ اليقين قلبها، كلمة القلب الذي وجد الله فلم يعد يَحْفل ما يفقد بعد هذا الوجدان، القلب الذي اتصل بالله فذاق طعم العزة، فلم يعد يحفل بالطغيان، القلب الذي يرجو الآخرة فلا يهمه من أمر هذه الدنيا قليلًا ولا كثيرًا.. لَا ضَيْرَ في تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف.. لَا ضَيْرَ في التعذيب والتصليب، لا ضير في الموت والاستشهاد.. ﴿لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ وليكن في هذه الأرض ما يكون.

يا الله!! يا لروعة الإيمان!! إذ يشرق في الضمائر، وإذ يفيض على الأروح، و إذ يسكب الطمأنينة في النفوس، وإذ يرتفع بسلالة الطين إلى أعلى عليين، وإذ يملأ القلوب بالغنى والذخر والوَفر، إذ إن ما في الأرض تافه حقير زهيد.... يا لجلال المشهد ويا للروعة الغامرة!!

وقال تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ(٤٦) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ **(الأعراف:٤٦،٤٧)**

إنها صولة الحق واليقين في الضمائر، ونور الحق في المشاعر، ولمسة الحق للقلوب المهيأة لتلقي الحق والنور واليقين تحول السحرة من التحدي السافر إلى التسليم المطلق، الذي يجدون برهانه في أنفسهم عن يقين، ولكن الطواغيت المتجبرين لا يدركون كيف يتسرب



النور إلى قلوب البشر، ولا كيف تمازجها بشاشة الإيمان، ولا كيف تلمسها حرارة اليقين، فما كان من فرعون إلَّا أن قال: ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ كأنما كان عليهم أن يستأذنوه في أن تنتفض قلوبهم للحق، أو يستأذنوه في أن ترتعش وجداناتهم، أو يستأذنوه في أن تشرق أرواحهم!! أو كأنما كان عليهم أن يدفعوا اليقين وهو ينبت في الأعماق، أو يطمسوا الإيمان وهو يترقرق من الأغوار أو أن يحجبوا النور وهو ينبعث من شِعاب اليقين!! ولكن الطاغوت جاهل غبي مطموس، وهو في الوقت ذاته متعجرف متكبر مغرور، ولكن هيهات، فقد جاء اليقين قلوب السحرة، وتفتحت لهذه القلوب آفاق مشرقة وضيئة لا تبالي أن تنظر بعدها إلى الأرض وما بها من عَرَض زائل ولا إلى حياة الأرض وما فيها من متاع تافه.

إن النفس البشرية حين تَشِفُّ وترِقُّ باليقين، وحين تستعلن فيها حقيقة الإيمان، تستعلي على قوى الأرض، وتستهين ببأس الطغاة، وتنتصر فيها العقيدة على الحياة وتحتقر الفناء الزائل إلى جوار الخلود المقيم. إنها لاتقف لتسأل ماذا ستأخذ وماذا ستدع؟ ماذا ستقبض وماذا ستدفع؟ ماذا ستخسر وماذا ستكسب؟ وماذا ستلقى في الطريق من صعاب وأشواك وتضحيات؟ لأن الأفق المشرق الوضيء أمامها هناك، فهي لا تنظر إلى شيء في الطريق.

إنها لمسة اليقين في القلوب التي كانت منذ لحظة تقسم بعزة فرعون، وتعد القربى منه مغنمًا يتسابق غليه المتسابقون، فإذا هي بعد لحظة تواجهه بقوة، وترخّص ملكه وزخْرُفه وجاهه وسلطانة، فقالوا: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ فهي علينا أعز وأغلى وهو سبحانه أجل وأعلى: {فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا(٧٢) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ} (طه:٧٢،٧٣) خير قسمة وجوارًا، وأبقي مغنمًا وجزاءً.

﴿قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ(١٢٥) وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ (الأعراف:١٢٥،١٢٦)

إنه اليقين الذي لا يتزعزع، كما أنه لا يخضع ولا يخنع، اليقين الذي يطمئن إلى النهاية فيرضاها، ويستيقن من الرجعة إلى ربِّه فيطمئن إلى جواره.

وهَزَاتِ القلوب الموقنةُ بتهديد الطغيان الجائر، وواجهته بكلمة الإيمان القوية، وباستعلاء الإيمان الواثق، وبتحذير الإيمان الناصع، وبرجاء الإيمان العميق.

ويقف الطغيان عاجزًا أمام اليقين، وماذا يملك الطغيان إذا رغبت القلوب في جوار الله؟! وماذا يملك الجبروت إذا اعتصمت بالله؟! وماذا يملك السلطان إذا رغبت القلوب عما يملك السلطان؟!

ومضي هذا المشهد في تاريخ البشرية إعلانا لحرية القلب البشري باستعلائه على قيود الأرض وسلطان الأرض، وعلى الطمع في المثوبة والخوف من السلطان وما يملك القلب البشري أن يجهر بهذا الإعلان القوي إلا في ظلال اليقين.

إنه موقف من المواقف الحاسمة في تاريخ البشرية، هذا الذي كان بين فرعون وملأه، والمؤمنين من السحرة السابقين؟

إنه موقف حاسم في تاريخ البشرية، بانتصار العقيدة على الحياة، وانتصار العزيمة على الألم وانتصار الإنسان على الشيطان.

إنه موقف حاسم في تاريخ البشرية بإعلان ميلاد الحرية الحقيقية، فما الحرية إلَّا استعلاءُ بالعقيدة على جبروت المتجبِّرين وطغيان الطغاة، ومتي عجزت القوة المادية عن استذلال القلوب، فقد ولدت الحرية الحقيقية في هذه القلوب.

إنه موقف حاسم في تاريخ البشرية بإعلان إفلاس المادية، فهذه القلة التي كانت منذ لحظة تسأل فرعون الأجر على الفوز، وتُمنِّي بالقرب من السلطان، هي ذاتها التي تستعلي على فرعون، وتستهين بالتهديد والوعيد وتُقبلُ صابرة محتسبةً على التنكيل والتصليب، وما تغيَّر في حياتها شيء، ولا تغيَّر من حولها شيء، إنما وقع الحقُّ واليقين في القلوب واستقر وثبت، وتسمَّع الضمير أصداء الهداية، وتلقت البصيرة إشراقات النور، فرفعت الإنسان من عالم الواقع إلى الآفاق التي لم يكن يطمح إليها الخيال.



ويذهب التهديد ويتلاشى الوعيد ويمضي الإيمان في طريقه لا يلتفت ولا يتردد ولا يحيد ويقدم أهل الإيمان على الموت مستهينين؛ ليقينهم بأنهم هم المؤمنون برب العالمين، وأن عدوهم على غير دينهم، يُنكر ربوبية ربّ العالمين. وما كان أن يمضي المؤمنون في طريق الدعوة إلى رب العالمين على ما ينتظرهم من التعذيب والتنكيل، إلا بمثل هذا اليقين بشقيه: إنهم هم المؤمنون، وان أعداءهم هم الكافرون، وإنهم إنما يحاربونهم على الدين، ولا ينقمون منهم إلا هذا الدين.

فلله ما أروعه من مشهد نعجزُ عن القول فيه!! وتعجِز البشرية!! ولا يصوره بصدق إلاّ القرآن الكريم!!

٤- هاجر عليها السلام وقمة اليقين:

لقد ضربت هاجر المثل والقدرة في اليقين والثقة بالله فلقد أمر الله عز وجل إبراهيم ﷺ أن يخرج بزوجته هاجر وولده إسماعيل-عليه السلام- إلى مكة ويمتثل الخليلُ أمر الله عز وجل ويخرج بهما إلى مكة حيث لا أنيس ولا جليس، وحيث لا إنس ولا أُنس، ووَضَعَ عِنْدَهُما جِرَابًا فيه تَمْرٌ، وسِقَاءً فيه مَاءٌ، ثُمَّ قفَّى إبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إسْمَاعِيلَ فَقالَتْ: يا إبْرَاهِيمُ، أيْنَ تَذْهَبُ وتَتْرُكُنَا بهذا الوَادِي الَّذي ليسَ فيه إنْسٌ ولَا شيءٌ؟ فَقالَتْ له ذلك مِرَارًا، وجَعَلَ لا يَلْتَفِتُ إلَيْهَا، فَقالَتْ له: آللَّهُ الَّذي أمَرَكَ بهذا؟ قالَ: نَعَمْ، قالَتْ: إذَنْ لا يُضَيِّعُنَا، ثُمَّ رَجَعَتْ. **(والحديث عند البخاري في صحيحه)**

فحفظها الله بحسن يقينها بالله عز وجل وفجر لها من الأرض زمزم التي هي طعام طعم وشفاء سقم. وجعل سعيها بين الصفا والمروة منسكًا نتقرب به الى الله إلى قيام الساعة، وعُمّر المكان، وبُنى البيت وقصده الناس من كل حدب وصوب، إنه اليقين في الله وحسن التوكل عليه والتقه به، وهذا هو عاقبته اليقين.

٥- الرسول الأمين ﷺ وقوة اليقين في رب العالمين:

ومن كرسول الله ﷺ في يقينه وثقته بربه. فقد أخرج الترمذي عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: كانَ النَّبيُّ ﷺ يُحرَسُ حتَّى نزلت هذِهِ الآيَةَ: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾



(المائدة:٦٧) فأخرجَ رسولُ اللَّهِ ﷺ رأسَهُ من القبَّةِ، فقالَ لَهُم:" يا أيُّها النَّاس انصرِفوا فقد عَصمَني اللَّهُ".

إنه اليقين في الله والذي يظهر جليًّا واضحًا عند الشدائد فالنبي ﷺ على ثقة ويقين من الله فتم نوره ولو كره المشركون، وسينشر الإسلام رغم أنف الحاقدين المنافقين.

فقد أخرج البخاري من حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه أنه قال: شَكَوْنَا إلى رَسولِ اللَّهِ ﷺ وهو متوسِّدٌ بُرْدَةً له في ظِلِّ الكَعْبَةِ، قُلْنَا له: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قالَ: كانَ الرَّجُلُ فِيمَن قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ له في الأرْضِ، فيُجْعَلُ فيه، فيُجَاءُ بالمِنْشَارِ فيُوضَعُ علَى رَأْسِهِ فيُشَقُّ باثْنَتَيْنِ، وما يَصُدُّهُ ذلكَ عن دِينِهِ، ويُمْشَطُ بأَمْشَاطِ الحَدِيدِ ما دُونَ لَحْمِهِ مِن عَظْمٍ أوْ عَصَبٍ، وما يَصُدُّهُ ذلكَ عن دِينِهِ، واللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هذا الأمْرَ، حتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِن صَنْعَاءَ إلى حَضْرَمَوْتَ، لا يَخَافُ إلَّا اللَّهَ، أَوِ الذِّئْبَ علَى غَنَمِهِ، ولَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ ".

بل انظر إليه ﷺ وهو مع أبي بكر رضي الله عنه في الغار إذ يقول له الصديق رضي الله عنه: لو أنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا، فَقالَ:" ما ظَنُّكَ يا أَبَا بَكْرٍ باثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا؟!". (رواه البخاري ومسلم)

قصة النبي ﷺ مع سراقة بن مالك رضي الله عنه:

رأى بعض المشركين القافلة وجاءوا إلى مكة يخبرونهم الخبر، فلعل الركب هم محمد وأصحابه، فسمعهم سراقة بن مالك، وكان سراقة بن مالك يفكر في المائة ناقة التي هي لكل واحد من الاثنين، نخدع الناس، وقال لهم: هذا فلان وفلان أعرفهما، وجهز فرسه وسلاحه وانطلق ليفوز بالجائزة الكبرى، واستطاع أن يصل إليهم، واقترب منهم، حتى إنه كان يسمع قراءة رسول الله ﷺ للقرآن، وكان رسول الله ﷺ لا يلتفت وأبو بكر رضي الله عنه يكثر الالتفات من خوفه على رسول الله ﷺ، وعندما اقترب منهم حدثت المعجزة وبدأت الفرس تسيخ في الأرض مرة وثانية وثالثة، وعلم سراقة أن هناك شيئًا غريبًا، يقول: فأدركت أن القوم ممنوعون. فاقترب منهم وقد سألهم الأمان، وذكر لهم أمر المكافأة التي جعلتها قريش فيهم، فقال له رسول الله ﷺ: غمي عنا الخبر(اخف عنا الخبر)، وبعد ذلك قال له شيء في منتهى الغرابة، قال:" كأني بك يا سراقة تلبس سواري كسرى"، في هذا الموقف الصعب الذي يطارد فيه من أهل الأرض يبشر سراقة بانهيار عرش كسرى، وأنه سيأتي يوم يأخذ فيه المسلمون سواري كسرى غنيمة، وفي ذلك الوقت سراقة هو الذي سيأخذ هذين السوارين، وسراقة كان يصدق بهذا تمامًا، إلى درجة أنه طلب من الرسول ﷺ أن يكتب له كتابًا بهذا الأمر، حتى إذا مات الرسول ﷺ قبل هذا الشيء

فسيكون معه الدليل الذي يأخذ به السوارين، فأمر الرسول ﷺ عامر بن فهيرة أن يكتب له كتابًا، فكتب له على رقة من جلد، وعاد سراقة يبعد الناس عن طريق رسول الله ﷺ، ويقول لهم: قد كفيتكم هذا الطريق.

قال: فلما فتح الله تعالى على عمر رضي الله عنه أُتي بسوارَيْ كسرى ومِنطقته وتاجه، دعا سراقة بن مالك وألبسه إياهما ". إنه اليقين في موعود رب العالمين.

نماذج من الجيل الفريد الذى تربى بالقرآن وعلى عين النبي ﷺ:

وهم الذين رباهم النبي ﷺ على عينه وغرس في قلوبهم اليقين ورضعوا من اليقين رضعات مشبعات، فشبوا عليه وبلغوا أشدهم تتزلزل الجبال من حولهم وهم في ثقة، وثبات، ويقين. **قال تعالى:** ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ **(الأحزاب:٢٢)**

فمع الزلزلة وروغان الأبصار، وتكالب الأعداء إلا أنهم على يقين لا يخالجه شك وثقة بالله لا تتزعزع، وصلة بالله لا تنقطع، إنه اليقين الذي غرسه النبي ﷺ في قلوب الصحابة، فأثمر ثمارًا يانعة لا يزال عبيرها يفوح إلى الآن: بذل وعطاء، وخشية، وتضحية، ومراقبة، واستقامة، فجاء من أخبارهم ما يفوق الخيال، وكانوا بهذا نموذجًا فريدًا في تاريخ البشرية، لم يُعرف له نظير.

في هذا الجيل الفريد نزلت آيات:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ (آل عمران: ١٧٢-١٧٤)

لله در هؤلاء النفر من الصحابة!! دعاهم رسول الله ﷺ إلى الخروج معه مرة أخرى في حمراء الأسد غداة المعركة المريرة (غزوة أُحد)، وهم مثخنون بالجراح، وهم ناجون بشق الأنفس من الموت في المعركة، وهم لم ينسوا بعدُ أهوال الدعكة ومرارة الهزيمة وشدة الكرب، وقد فقدوا من أعزَّائهم من فقدوا، فقل عددهم فوق ما هم مُثْخَنون بالجراح، ولقد دعاهم رسول الله ﷺ ودعاهم وحدهم، فاستجابوا لدعوته- لليقين الذى يغمر قلوبهم -، وليعلِّموا الدنيا أن هناك عقيدة هي كل شيء في نفوس أصحابها، ليس لهم من أَرَبٍ في الدنيا غيرها، وليس لهم من غاية في حياتهم سواها، عقيدة يعيشون لها وحدها، فلا يبقى لهم في أنفسهم شيء بعدها، ولا يستبقون هم لأنفسهم بقيَّة في أنفسهم لا يبذلونها لها، ولم يكن أقوى في التعبير عن ميلاد هذه الحقيقة من خروج هؤلاء الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القَرْح، ومن خروجهم بهذه الصورة الرائعة الناصعة الهائلة؛ صورة التوكل على الله وحده، واليقين به.

للأنصار-رضي الله عنهم- يقينٌ أغربُ من الخيال، وأطيبُ من المِسْك:

كان للأنصار يقين كامل، وثقة سامية بالله ورسوله وخذ على هذا مثالا:

في يوم العقبة الْتقى رسول الله ﷺ بالوفد الثاني للأنصار، وكان من أمرهم ما رواه الإمام أحمد في مسنده عَنْ عَامِرٍ قَالَ: انْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ وَمَعَهُ الْعَبَّاسُ عَمُّهُ إِلَى السَّبْعِينَ مِنَ الأَنْصَارِ عِنْدَ الْعَقَبَةِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَقَالَ: لِيَتَكَلَّمْ مُتَكَلِّمُكُمْ وَلاَ يُطِيلُ الْخُطْبَةَ فَإِنَّ عَلَيْكُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَيْنًا وَإِنْ يَعْلَمُوا بِكُمْ يَفْضَحُوكُمْ ". فَقَالَ قَائِلُهُمْ وَهُوَ أَبُو أُمَامَةَ: سَلْ يَا مُحَمَّدُ لِرَبِّكَ مَا شِئْتَ، ثُمَّ سَلْ لِنَفْسِكَ وَلأَصْحَابِكَ مَا شِئْتَ، ثُمَّ أَخْبِرْنَا مَا لَنَا مِنَ الثَّوَابِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَلَيْكُمْ إِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ. فَقَالَ: أَسْأَلُكُمْ لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ

شيئًا، وأسألكم لنفسي ولأصحابي أنْ تؤْونا وتنصرونا وتمنعونا مما منعتم منه أنفسكم ". قالوا فما لنا إذا فعلنا ذلك؟ قال:" لكم الجنَّة ". قالوا: فلك ذلك.

- وفي رواية: أنَّ القوْمَ لمَّا اجتمعوا لبيْعَةِ رسُولِ اللَّهِ ﷺ قامَ الْعبَّاس بْنُ عُبادَةَ بْنِ نضْلَةَ الأنْصَارِيُّ، ثُمَّ أحدُ بَنِي سَالِمِ بْنِ عوْف، فقال:" يا معْشَرَ الخزرج! هل تدْرُون علامَ تُبايِعُونَ هذا الرَّجُلَ؟ قالُوا: نعم، قال: إنَّكُمْ تبايِعون على حرْبِ الأحْمرِ والأسْودِ من النَّاسِ، وإنْ كُنْتُمْ ترَوْنَ أنَّكُمْ إذا نهكت أموالكم مُصيبةٌ، وأشرافكم قتْلَى أسلمْتُمُوه، فمن الآن فهو واللَّهِ إنْ فعلْتُمْ خِزْيُ الدُّنْيَا والآخِرَة، وإنْ كُنْتُم ترَوْنَ أنَّكُمْ وافُون لهُ بما دعوْتُمُوه إليْهِ على نُهْكَةِ الأمْوالِ وقتْلِ الأشْرَافِ فخُذُوه، فهُوَ واللَّهِ خيْرُ الدُّنْيَا والآخِرَة، قالُوا: فإنَّا واللَّهِ نأخُذُهُ على مُصيبةِ الأمْوالِ وقتْلِ الأشْرَافِ، فما لنَا بِذَلِكَ يا رسُولَ اللَّهِ إنْ نحْنُ وفَّيْنَا؟ قال:" الجَنَّةُ "، قالُوا: ابْسُطْ يدكَ فبَسَطَ يدَهُ، فبايَعُوهُ ".

- وفي رواية: فقلنا يا رسولَ اللهِ! علامَ نُبايِعُكَ؟ قال: تُبايِعوني على السَّمعِ والطاعةِ في النَّشاطِ والكَسَلِ، وعلى النَّفَقةِ في العُسرِ واليُسْرِ، وعلى الأمرِ بالمعْروفِ، والنَّهْيِ عن المُنكَرِ، وعلى أنْ تقولوا في اللهِ لا تأخُذُكم فيه لَومةُ لائمٍ، وعلى أنْ تنصُروني إذا قدِمْتُ يثرِبَ، فتمْنَعوني ممَّا تمنَعون منه أنفُسَكم وأزواجَكم وأبْناءَكم ولكم الجنَّةُ، فقُمْنا نُبايِعُه، فأخَذَ بيدِه أسْعَدُ بنُ زُرارةَ، وهو أصغَرُ السَّبْعينَ، فقال: رُوَيدًا يا أهلَ يثرِبَ، إنَّا لم نضرِبْ إليه أكْبادَ المطِيِّ إلَّا ونحن نعلَمُ أنَّه رسولُ اللهِ، إنَّ إخْراجَه اليومَ مُفارَقةُ العرَبِ كافَّةً، وقَتْلُ خيارِكُم، وأنْ تعَضَّكُم السُّيوفُ، فإمَّا أنتم قومٌ تَصْبِرون على السُّيوفِ إذا مسَّتْكُم، وعلى قَتْلِ خيارِكُم، وعلى مُفارَقةِ العرَبِ كافَّةً، فخُذوه وأجرُكُم على اللهِ، وإمَّا أنتُم قومٌ تخافون من أنفُسِكُم خيفةً فذَروه، فهو أعْذَرُ عندَ اللهِ، قالوا: يا أسْعَدُ بنَ زُرارةَ أمِطْ عنَّا يدَكَ، فواللهِ لا نَذَرُ هذه البيعةَ، ولا نَستَقيلُها، فقُمْنا إليه رجُلًا رجُلًا يأخُذُ علينا بشُرْطةِ العبَّاسِ[1]، ويُعْطينا على ذلك الجنَّةَ[2] ".

يقين امرأة من بنى عبد الدار:

١- بشُرْطةِ العبَّاسِ: يعني المواثيقَ التي أخَذَها العبَّاسُ عليهم بالوَفاءِ لرَسولِ اللهِ ﷺ.

٢- ويُعْطينا على ذلك الجنَّةَ: أي يعِدُهم النَّبيُّ ﷺ بالجنَّةِ يومَ القيامةِ.



هذه المرأة عرفت معنى اليقين والثقة فعبَّرت عنها بكلمات بقيت تزين صدر التاريخ، وأصبحت أمانةً في عنق كلِّ مسلمة، وذلك عندما أُخبرت باستشهاد زوجها، وأخيها، وأبيها، **قالت:** ماذا صنع رسول الله ﷺ؟ **فقالوا: هو بخير. قالت: كل مصيبة بعدك يا رسول الله جَلَلٌ**[1] ". (رواه ابن إسحاق والبيهقي)

الصديق الأكبر -رضي الله عنه- ويقينه الكبير يوم موت رسول الله ﷺ:

من شاء أن يرى يقين أبي بكر رضي الله عنه في أحفل ساعاته، من شاء أن يرى اليقين العلويَّ الموصول بقيُّوم السموات والأرض، فلير هذا اليقين يوم دُعي الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى، فأجاب ورحل عن الحياة والأحياء يومئذ تكشَّف هذا الجوهر.. يقين لا يضعُفُ بل يتفوَّق، ولا يجزع بل يحتشد، ولا ينوءُ تحت وقع الضربة، بل ينهض أيّدًا رشيدًا ثابتًا ليحمل مسئولياته وتبعاته!!

وقف يقينُ أبي بكر رضي الله عنه يوم وفاة الرسول ﷺ وقفةً ما كان يقدر عليها سواه، يوم أن قال عمر رضي الله عنه: إنَّ رجالًا من المنافقين، يزعمون أنَّ رسول الله مات، وإنه والله ما مات، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران.. والله ليرجعَنَّ رسول الله، فَلَيُقَطِّعَنَّ أيدي رجال زعموا أنه مات.. ألا، لا أسمَعُ أحدًا يقول: إن رسول الله مات، إلا فلقتُ هامته بسيفي هذا ".

وأقبل أبو بكر رضي الله عنه، فلم يلتفت إلى شيء، ودخل على رسول الله ﷺ وهو مسجى في ناحية البيت عليه بُرْدُ حِبَرَة، فكشف عن وجهه ثم قبَّله، وقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، طبت حيًّا وميتًا، إن الموتة التي كتبها الله عليك قد متها. ثم رد الثوب على وجه الرسول ﷺ، ثم خرج وأقبل على الناس يكلمهم، فلما سمعوه أقبلوا عليه منصتين، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس من كان يعبدُ محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد اللهَ فإنَّ اللهَ حَيٌّ لا يموت. ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران:١٤٤)

١- جلل: هينه.



فوالله لكأنَّ الناس يسمعون هذه الآية لأول مرة.. أما عمر فقد وقع على الأرض حين علم من كلمات أبي بكر ﷺ أنه الموت حقا.

وهكذا كان يقين أبي بكر ﷺ يُشبه عين الصقر، يقع في أقل من لمح البصر على كلمة السِّرِّ التي ستردُّ الهممَ المنسَحِقة تحت وطأة الفاجعة، إلى وعي قديرٍ يستقبلُ تبعاته الجسام، ويعبر أزمة الموت بسلام!!

يقين عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-:

تناوله المشركون بالأذى؛ لأنه أسمعهم القرآن في ناديهم إلى جوار الكعبة، حتى تركوه وهو يترنح لا يصلب قامته، فكان يقول بعد هذا الأذى المنكر الفاجر الذى ناله: والله ما كانوا أهون عليّ منهم حينذاك، كان يستيقن أنَّ الذى يحاد الله مغلوب هين على الله، فينبغي أن يكون مهينًا عند أولياء الله وكان ﷺ يكثر من هذا الدعاء:" **اللهم زدنا إيمانا ويقيناً وفقهاً**". (ذكره الحافظ ابن حجر في" الفتح:٤٨/١" وعزاه للإمام أحمد بسند صحيح)

يقين عثمان بن مظعون -رضي الله عنه-:

وهذا عثمان بن مظعون ﷺ يرد جوار عتبه بن ربيعة، ويضربه المشركون وآذوه حتى أدموا عينه، فدعاه عتبه الى جواره فقال لعتبه:" لأنا في جوار من هو أعز منك". ولمَّا قال له عتبه:" يا ابن أخي لقد كانت عينُكَ في غنى عمَّا أصابها"، فقال:" لا والله، وللأُخرى أحقُّ لما يُصلحها في سبيل الله ".

كان يعلم أنَّ جوار ربِّه أعزُّ من جوار العبيد، وكان يستيقن أنَّ ربه لا يتخلَّى عنه - ولو تركه يُؤذَى في سبيله هذا الأذى لترتفع نفسه إلى هذا الأفق العجيب:" لا والله، وللأخرى أحقُّ لِمَا يُصلحها في سبيل الله". لقد احتملوا هذا الأذى بثقة في الله لا تتزعزع، وبعزمة في الله لا تلين.

أبو موسي الاشعري -رضي الله عنه- يبث اليقين في قلوب الناس:

كان أبو موسي الأشعري ﷺ يبعث على اليقين ويوقظ الهمم في أرض المعركة ويذكرهم بحديث النبي ﷺ:" إنَّ أَبْوابَ الجَنَّةِ تَحْتَ ظِلالِ السُّيُوفِ ". فَقامَ رَجُلٌ رَثُّ الهَيْئَةِ، فقالَ: يا أبا مُوسَى! أنْتَ سَمِعْتَ رَسولَ اللهِ ﷺ يقولُ هذا؟ قالَ: نَعَمْ، قالَ: فَرَجَعَ إلى أصْحابِهِ،



فقال: أقرأُ عليكُم السَّلامَ، ثُمَّ كسَرَ جفْنَ سيفِهِ فألْقاه، ثُمَّ مشَى بسَيفِهِ إلى العَدُوِّ فضَرَبَ به حتَّى قُتِلَ ". (رواه مسلم)

سبحان الله! كان حديث رسول الله ﷺ يقرأ على أسماع السلف فيوقنون به وإن لم يروا رسول الله ﷺ فيبذلون دماءهم بكلمة، ويقدمون أرواحهم بكلمة، ويغادرون الحياة بكلمة من رسول الله ﷺ.

أليس عجيبًا أن يضحي رجل بحياته بموجب كلمة قالها رسول الله ﷺ ونحن نسمع أحاديث للنبي ﷺ تحثنا علي أعمال هي دون الجهاد بكثير من حيث المشقة والجهد ودرجة البذل والتضحية، ثم لا تجد لها مجيبًا أو تبصر موقنًا، ترى ما نسبه اليقين في قلب هذا الأعرابي إلى اليقين في قلوبنا؟!!

دعــوه لا تلومـوه دعـوه فقد علم الذي لم تعلمــوه
رأى علم الهدى فسما إليه وطـالب مطلبـًا لم تطلبــوه
أجاب دعـاءه لمـا دعـاه وقـام بأمــره وأضعتمــوه
بنفسي ذاك من فطن لبيب تذوق مطعمـًا لم تطعموه

يقين أنس -رضي الله عنه-:

لقد بلغ اليقين به مبلغًا عظيمًا فاصبح عنده يوم القيامة شهادة لا غيبًا وواقعًا لا خيالًا، فقد كان هناك أمر ما يؤرقه وهو أين سيقابل رسول الله ﷺ يوم القيامة في أرض المحشر في وسط هذه الجموع أو الأمواج المتلاطمة من البشر من لدن آدم -عليه السلام- إلى قيام الساعة.

فقد أخرج الترمذي بسند صحيح عن أنس ﷺ قال: سألتُ رسولَ اللهِ ﷺ أن يشفعَ لي يومَ القيامةِ، فقال:" أنا فاعلٌ إن شاء اللهُ تعالَى. قلتُ: فأين أطلبُك؟ قال:" أوَّلَ ما تطلبُني على الصِّراطِ ". قلتُ: فإن لم ألْقَك على الصِّراطِ؟. قال:" فاطلبْني عند الميزانِ". قلتُ: فإن لم ألْقَك عند الميزانِ؟ قال:" فاطلبْني عند الحوْضِ، فإنِّي لا أُخطِئُ هذه الثَّلاثَ مواطنَ ".

يا أهل اليقين: غدًا نلتقي برسول الله ﷺ والمكان حدده الرسول ﷺ فلا يتأخرن منكم أحد.

يقين صاحبة الأعنز:

هناك قصة لطيفة لامرأة، رواها الإمام أحمد-رحمه الله- وفيها أنها قالت: أتيتُ المدينةَ في عيرٍ لنا فبِعنا بضاعَتَنا ثم قلتُ: لأنطلقنَّ إلى هذا الرجلِ فلآتينَّ من بعدي بخبرِه، فانتهيتُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فإذا هو يُريني بيتاً، قال: إنَّ امرأةً كانت فيه فخرجت في سَرِيَّةِ المسلمين وتركت ثنتيْ عشرةَ عنزةً وصيصتَها التي تنسجُ بها، قال: ففقدتْ عنزًا من غنمِها وصيصتَها، قالت: يا ربِّ قد ضمنتُ لمن خرج في سبيلِك أن تحفظَ عليه وإني قد فقدتُ عنزًا من غنمي وصيصتي، وإني أنشدُك عنزي وصيصتي، قال: فجعل رسولُ اللهِ ﷺ يذكرُ له شدةَ مناشدَتِها لربها تبارك وتعالى، قال رسولُ اللهِ ﷺ:" فأصبحت عنزها ومثلَها وصيصتها ومثلَها، وهاتيك فائْتِها فاسألها إن شئتَ، قال: قلتُ: بل أُصدِّقُكَ ".

يقين أبي عبد الله مردنيش: الزاهد المجاهد، أبو عبد الله، محمد الجذامي المغربي:

قال الذهبي-رحمه الله-: فمن عجيب ما صحَّ عندي من مغازيه - يقول ذلك اليسع بن حزْم - أنه أغار يومًا، فغنم غنيمةً كبيرة واجتمع عليه من الروم أكثر من ألف فارس، فقال لأصحابه: -وكانوا ثلاثمائة فارس-: ما ترون؟ فقالوا: نشغلهم بترك الغنيمة. قال: ألم يقل رب العالمين: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ﴾ (الأنفال:٦٥) قال له ابن مورين يا رئيس! الله قال هذا؟. فقال: الله يقول هذا، وتقعدون عن لقائهم؟! قال: فثبتوا، فهزموا الروم ". (السير:٢٠/ ٢٣٢)



يقين الشيخ عبد القادر الجيلاني؛ الإمام، العالم، الزاهد:

قال-رحمه الله-:" وترد على الأثقال التي لو وضعت على الجبال تفسَّخت فأضع جنبي على الأرض وأقول: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا(٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (سورة الشرح:٥،٦) ثم أرفع رأسي وقد انفرجت عنى". (المصدر السابق)

يقين الشيخ الإمام أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الحيري:

قال الحاكم: وسمعت أبي يقول: لما قَتَلَ أحمد بن عبد الله الجستاني- الذي استولى على البلاد- الإمامَ حيّان بن الذهلي، أخذ في الظلم والعسْف، وأمر بحرْبة ركزت على رأس المربعة، وجمع الأعيان، وحلَف إن لم يصبُّوا الدراهم حتى يغيب رأس الحربة فقد أحلُّوا دماءهم، فكانوا يقتسمون الغرامة بينهم، فخُصَّ تاجرٌ بثلاثين ألف درهم، فلم يكن يقدر إلا على ثلاثة آلاف درهم، فحملها إلى أبي عثمان وقال: أيها الشيخ! قد حلف هذا كما بلغك، ووالله لا أهتدي إلاَّ إلى هذا، قال: تأذنُ لي أن أفعل ما ينفعك؟ قال:نعم. ففرّقها أبو عثمان، وقال للتاجر: امكث عندي. وما زال أبو عثمان يتردّد بين السكة والمسجد ليلته حتى أصبح وأذّن المؤذّن، ثم قال لخادمه: اذهب إلى السوق وانظر ماذا تسمع. فذهب ورجع وقال: لم أر شيئًا.قال: اذهب مرةً أخرى، وهو في مناجاته يقول: وحقك لا أقت ما لم تفرج عن المكروبين. قال: فأتى خادمه الفرغاني يقول: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ شق بطن أحمد ابن عبد الله. فأخذ أبو عثمان في الإقامة ".

قال الذهبي-رحمه الله-:" بمثل هذا يعظم مشايخ الوقت". (السير: ١٤/٦٢)

وقد مرَّ مثلها من سفيان الثوري -رحمه الله- مع أبي جعفر المنصور.

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة.

وأسأل الله– تعالى- أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها......إنه ولي ذلك والقادر عليه.



هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمِنّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي:

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيباً

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله – تعالى- أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك

المحتويات





